ابن زامل

الشاعر المطرب الحضرمي

أحد رواد الأغنية الحضرمية الأوائل

عبد اللّه صالح حداد

ابن زامل

الشاعر المطرب الحضرمي

أحد رواد الأغنية الحضرمية الأوائل

عبد اللّه صالح حداد

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م / حضرموت

(٢٥٤/ ٢٠٢٢م)

راجع عبارات الكتاب وصحح مفرداته

الأستاذ / عوض سالم غريبان

أستاذ اللغة العربية بالمدارس الثانوية بوادي حضرموت

تنفيذ طباعي

مطابع الرسالة بالحامي ـ ت : ٠٥٣٤١١٨٢

٢٠٢٣م

الإهداء..

أهدي هذا الكتاب

لكل عشاق فن الأغنية الحضرمية

وتاريخها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشاعر ابن زامل الحضرمي:

ما حضرموت اليـوم مثـل المـال لي مالـه ثمـن
راحت متاره من فعل شي ما تعاقـب وامـتحن
من شلت إيده شي تشله وإن وقع به صوب ون
سكره مع بطرة ودولـه مســـرفه والطبـل حـن
وإذا رقص واحد طمر لاخر على الرقصة زفـن

المقدمـــة

هذه محاولة للكتابة عن أحد شعراء العامية في محافظة حضرموت ويعد أحد رواد الأغنية الحضرمية، وهو وكثير غيره تعرضوا للنسيان رغم أن شواهد منافعهم بادية للعيان وإلى اليوم وتأثيرهم على من لحقهم من الشعراء لا يمكن إغفاله.

وقد سبقت محاولتي هذه أخريات، لكن بعضها لا تروي غلة وهي شديدة الاختصار، وبعضها لا يزيد على ثلاثة أسطر مع أن كتابها لهم باع في مجال البحث والاستقصاء، إلا أنها جاءت منهم على عكس ما هو مؤمل ومطلوب، ودلت على أن الأوساط الثقافية والأدبية قد نسيت هذه القامة السامقة شعراً وغناءً، لكننا نستثني محاولة الأستاذ سالم علي عبد الله الجرو وهو حضرمي يقيم في مهجره في الرياض بالمملكة العربية السعودية، فقد خصص الصفحات (١٥٠-١٥٩) من كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز) للكتابة عن الشاعر ابن زامل، لكنه شعر بأنه لم

يستطع إيفاءه حقه فوعد قائلاً: (سوف نفرد له باباً مستقلاً في دراستنا اللاحقة إن شاء الله).

وأستثني أيضاً كتابات المؤرخ الأديب عبد القادر محمد الصبان وهو من أهل مدينة سيئون فقد وضع كتابين:

١ـ شعر الجمهور، صدر عن مركز الأبحاث بسيئون بآلة النسخ الرونيو.

٢ـ الشعر الشعبي في حضرموت، صدر عن مركز الأبحاث بالمكلا، دون تاريخ غير أن مقدمة الكاتب ذيلت بتاريخ إتمامه في ١٥/ ٢/ ١٩٧٨م

إن الأستاذ الصبان يميط اللثام عن هذه الشخصية الفنية الشاعرة.

وأعترف بأن تلك الكتابات كانت مراجعي الأساسية لهذا البحث وهي على أقل تقدير فتحت لي أبواباً ولجت منها إلى حياة وعصر الشاعر والنشاط الثقافي والفني الذي اعتمل فيه ودوره في ذلك، لكن البحث الميداني كان أهم المصادر وأن ما استطعت جمعه من قصائد الشاعر هي

أساس هذا البحث وذلك بغية محاولة دراستها وكي تلقي الضوء وتؤكد ما يروى عنه وعن حياته وعصره.

ولا شك أن بحثي هذا لن يكون كل شيء عن الشاعر ابن زامل وأخباره وأشعاره، فربما وجدت أشياء أخرى عنه عند العديد من الرواة الذين أجهلهم، وربما كتب عنه آخرون ولم يصل إلي خبر ما كتبوه عن الشاعر وفنه. ولكن الذي بات مؤكداً لدي هو أن وعد الجرو يفيد بأن لديه أفكاراً أخرى ومعلومات إضافية.

ثم ما أفادنا به صديقنا الدكتور محمد أبوبكر حميد من أنه تمكن من الاطلاع على مذكرات الأديب الراحل علي أحمد باكثير، توجد بهذه المذكرات تسجيلاً للخطوط العريضة لقصة الشاعر ابن زامل كما سمعها من الرواة وهي كما اعتقد مرجع مهم لم أتمكن من الاطلاع عليه.

لقد تيسر لي أن أطلع على بعض المخطوطات التي أوردت قصائد الشاعر، وعلى عدد منها يحفظه الرواة، لكننا سوف نعتمد على أوثق ما ورد على الرغم من أن هناك فرق في المرويات حيث تختلف في عدد

أبيات القصيدة الواحدة وترتيب تلك الأبيات واستبدال مفرداتها مما سبب لي بعض الإرباك، وقد استقر رأيي على ما سيرد في محاولتي هذه وفضلت أن ألحق هذه الدراسة مصورات من القصائد التي وردت في تلك المخطوطات، حتى يتمكن من الاطلاع على ما ورد فيها نصاً ويلاحظ الزيادة والترتيب والإضافات من الآخرين، وحتى لا ألام على تصرفي، وقد أسر لي الزميل عبد الرحمن بن عقيل أن أفعل كذلك، نعم إن التسويف لن يمكنني من كتابة ونشر ما وصلت إليه من أخبار الشاعر وفنه. ولي أمل أن يكمل الآخرون ما بدأته.

كيف تعرفت على الشاعر المطرب ابن زامل؟

لعل ذاكرتي قد احتفظت بذكر هذا الشاعر في عام ١٩٨٠م من القرن الماضي، عندما حضرت مرة لأحد الزواجات على أصوات رقصة الزربادي، وهي رقصة أحبها كثيراً وأتمنى ألا تمحى من الذاكرة الشعبية، فهي ميزة لنا نحن في حضرموت، كان ذلك السمر بحي المجرف من حي الصيادين، وكان يحيي السمر الفنان الكبير سعيد عبد النعيم خميس

النوبي، أيقونة الغناء الحضرمي وقد غنى الفنان سعيد الراحل عن دنيانا في ٢١ يوليو ٢٠١٠م غنى قصيدة يقول في مطلعها:

يقول بن زامل زعل نومي ذكرت المشغلات.... إلخ.

قدم الفنان أربعة أو خمسة أبيات من هذه القصيدة واتضح بعد ذلك أن القصيدة ليست لابن زامل وإنما هي للشاعر الشعبي مبارك بن سالمين بن علي الحاج الحوثري، وهي مرثاة في سيده سالم بن عوض بن علي الحاج الذي قتل في معركة عقرون أحد فروع وادي دوعن الأيسر، وقد كتبت مقالاً في ذلك نشر بالعدد (١٤) من مجلة (ريبون) الصادرة عن مكتب الثقافة بمديرية القطن عام ٢٠٠٨م والقصيدة ونسبتها وردت في الجزء الثاني من مخطوط الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف (الشعر الحضرمي فن وصناعة) ص٢٥٠.

ولما عزمت على تأليف كتابي (معجم شعراء العامية الحضارمة) كان الشاعر ابن زامل محط سؤال لكل ما أعرفهم من الرواة لكن هدية الأستاذ عبد القادر محمد الصبان وهي مؤلفه الذي جاء بعنوان (شعر

الجمهور) الذي صدر عن مكتب الثقافة بسيئون على آلة النسخ الرونيو أفادني بأن الرجل معروف كشاعر ومطرب وله الكثير من القصائد التي لم تجمع في ديوان كما أظن.

وبالمناسبة فقد أخطأ الفنان عبد النعيم هنا، فقد ركب عبارة (يقول بن زامل) على قصيدة الشاعر مبارك سالمين ويبدو أن ذاكرة الفنان سعيد قد ضعفت وسبحان من لا يسهو ولا ينام، نعم لقد أخطأ عندما ركب العبارة (يقول بن زامل) على قصيدة مبارك، انظر ترجمته في كتابنا (معجم شعراء العامية الحضارمة) ص٢٨٤، وهو من مواليد أهل مدينة القطن بوادي حضرموت وميلاده بها وتوفي أيضاً بها في عام ١٩٠٩م ومن أبيات القصيدة قول الشاعر:

يـــا الله ياربـــاه يـــا عـــالم بـــما في الكائنـــات

أنــت الصــمد مــن فــوق عرشــك دلنــا ع الصــائبات

وألفــي صــلاة الله عــلى أحمــد عــد مــا خضــر نبــات

وعــد بــرق الصــيف يلمــع في الطهــوب المرمــدات

ثم قال خو الاثنين عل نومي ذكرت المشـغلات... إلـخ

نعم لقد أبدل الفنان سعيد عبارة (خو الاثنين) بالقول (يقول بن زامل) وقد كتبت مقالاً صغيراً حول الموضوع إياه نشر بالعدد (١٤) من مجلة (ريبون) الصادرة عن مكتب الثقافة بالقطن عام ٢٠٠٨م.

ولكني لم أعد أسمع قصائد الشاعر من أي من الفنانين المحليين أبداً، وقد سألت الصديق سالم عوض بامهيدي الشهير بلقب أسرته (مربعة) وهو ذاكرة الأغنية الحضرمية وكنت دائماً ما أرجع إليه لتصحيح ما أشكل علينا في نسبة كثير من الأغنيات الحديثة الحضرمية، فأفادني مشكوراً بأن الفنان بدوي الشبامي قد غنى إحدى قصائد الشاعر وهي (يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن..) وقد تفضل بأن دفع لي نسخة من تلك الأغنية من أداء الفنان بدوي ـ رحمه الله ـ.

وعند ذلك استمرت متابعتي وتسقط أخبار الشاعر المطرب وأشعاره، وقدر الله لي أن أجمع البعض من أخباره، ولما علمت بأن اتحاد الأدباء بالجمهورية اليمنية ينوي عقد مهرجان الأدب اليمني الثالث بالمكلا في الفترة ما بين ١٧-٢٢ إبريل ٢٠٠٤م، رغبت في المشاركة

بتقديم ورقة بحثية عن أحد رواد الأغنية الحضرمية، وجاء البحث تحت عنوان (أهمية دراسة الشعر العامي، الشاعر ابن زامل نموذجاً). وقد اتصلت برئيس فرع الاتحاد آنذاك الدكتور عبد العزيز الصيغ الذي اعتذر عن قبول المشاركة بحجة الضائقة المالية، لكني أبديت رغبة اكيدة في المشاركة وطباعة البحث وسحبه على أوراق بآلة النسخ وعلى حسابي الشخصي وعرفت أنه يرغب في طباعة ثمانين نسخة سلمتها للدكتور، وفوجئت بأن أبحاث المهرجان وزعت على جميع المشاركين دون بحثي، فقد وضعه الدكتور في حقيبة خاصة على سطح دولاب بمقر اللجنة المنظمة للمهرجان، وقال أنه نسي أين وضعه وهنا بدأت في نفسي عدم رغبة الدكتور الصيغ في مشاركتي المهرجان.

وعند نهاية المهرجان وجدت النسخ جميعها على الدولاب، فأسرعت بتوزيعها بنفسي على من بقي من الحضور، وكان المشاركون قد انصرفوا لكن الأستاذ والأخ أبو عابس صلاح مبارك أخذ نسخة من

البحث ونشره بصحيفة (المسيلة) التي كانت تصدر بالمكلا، فجاء البحث في ثلاثة أعداد منها وهذه أرقام أعدادها (٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤).

وقد استهواني موضوع الشاعر المطرب ابن زامل ففكرت في وضع كتاب يحمل عنوان (ابن زامل الشعر المطرب، أحد رواد الأغنية الحضرمية)، فقد عرفت من خلال دراسة أشعاره وعصره أنه أحد رواد فن الأغنية الحضرمية وأعلنت ذلك على الغلاف الأخير من كتابي (رجال الشحر في شرق إفريقيا من خلال أدبهم العامي) الذي صدر في طبعته الأولى عام ٢٠١١م عن مكتبة الحياة بالمكلا، ثم بدأت في وضع رؤوس مواضيع الكتاب وأخذت أبحث عن أشعار وأخبار هذا الفنان.

قصائد الشاعر ابن زامل في الكتب الآتية:

أسفرت متابعتي لأخبار الشاعر المطرب ابن زامل عن الآتي:

١ـ قصائد الشاعر في مجموعة باداهية (بداية الحكمة المنتقاه... إلخ.

٢ـ الصبان، عبد القادر محمد في كتابه الشعر الشعبي في حضرموت (شعر الجمهور).

٣ـ الصبان، عبد القادر محمد (دراسات في الشعر الشعبي) ص٨-٩.

٤ـ الجرو، سالم علي في كتابه (بلاد الأحقاف رسوم وكنوز).

٥ـ باحسن، عبد الله محمد، وردت قصيدة واحدة في كتابه (النفحات المسكية...).

٦ـ ابن عبيد الله السقاف، وردت ثلاث قصائد للشاعر في كتابه المخطوط (بضائع التابوت).

٧ـ باطويح، الشيخ حاج عبد الله، قصائد عن ابنه الشاعر سعيد حاج.

٨ـ بارجاء، علي أحمد، قصائد مهدية منه في أوراق مخطوطة.

٩ـ الخلاقي، علي صالح، قصائد في مخطوط المستشرق لاندبرج (هدية الدكتور الخلاقي).

١٠ـ العماري، مبارك عمرو، ثلاث قصائد مغناة في كتابه (محمد بن فارس) ص٢١٤-٢١٥، ٢٦٦.

١١ـ حميد، د.محمد أبوبكر، قصتي مع الأديب علي أحمد باكثير.

١٢ـ بامطرف، محمد عبد القادر، كتابه الميزان وردت بيتان للشاعر ص٢٦، ١٢٥.

زيارة الشيخ يحيى باجري:

كان صديقي الشاعر الشعبي محمد علي عبد القوي يزور الشيخ يحيى جعفر باجري، الوكيل المساعد لمديريات الوادي والصحراء في مدينته بور، فرغب لي لقاءه وطرح عليه الفكرة فهو قد يصحح لي بعض المعلومات التي ربما جاءت خاطئة من بعض الرواة، وكنت في صباح يوم السبت ٢/ نوفمبر ٢٠١٣م متوجهاً بمعية الشاعر عبد القوي إلى بلدة (بور) لزيارة الشيخ يحيى وكان مع شديد الأسف هو يوم رحيل أستاذي عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي الذي لم أتمكن من حضور تشييع جثمانه إلى مقره الأخير عصر نفس اليوم رحمه الله وأسكنه جنته، الحمد لله.

وعند وصولنا إلى (بور) استقبلنا الشيخ أحسن استقبال وقال: هذه ليست ضيافتكم وسوف تكون غداً إن شاء الله، لكنه قد أرسل من يدعو عدداً من مقادمة فروع قبيلة (آل باجري) وآخرين ممن لهم معرفة بأخبار القبيلة ونشاطها الاجتماعي والفني وكانت جلسة في ديوانية الشيخ لا تقدر بثمن، وقد تمكنت في تلك الجلسة من معرفة ما لم أكن أعرفه عن القبيلة وأعرافها وعاداتها وتقاليدها، والشاعر ابن زامل وقصته المأساوية وبعض قصائده وانتشار تلك القصائد إلى مختلف بقاع الجزيرة العربية وبالأخص إلى بلدان الخليج العربي، وتقديم عدد من قصائده المغناة في مملكة البحرين وإمارة الكويت. وكان في نيتي أن يتكرم الشيخ بوعد في تقديم شيء كمعونة لطبع الكتاب، ولكني لم أتجاسر على ذكر ذلك! ولم يتم ما أردت ولهذا تأخر صدور الكتاب عشر سنوات أخرى، منذ ذلك التاريخ إلى اليوم وذلك لقلة ما في اليد.

واليوم وقد تيسر لي من سوف يقوم بتنضيد هذا الكتاب أولاً ثم سيتم البحث والتفكير في طباعته وحال الانتهاء من تحرير هذا المؤلف

سوف أدفعه تواً إلى صديقي ليتم عليه ما سبق أن قلته هنا، وسوف أعيد لململة كل أوراقي ومراجعي وأعد العدة لنشر هذا الكتاب، وهو محاولة مني لتصحيح أخطاء شاعت في تاريخ الأغنية الحضرمية وآلاتها الموسيقية خاصة الوترية فيها والعود بدرجة أساسية وكذلك الإيقاعية وعلى وجه الخصوص الآلة الشهيرة المرواس المستعملة عندنا، وندعو الله بالتوفيق.

الخلاقي والسويدي:

إن الحافز الرئيس في إعادة دراسة الشاعر وتحقيق نصوص شعره حصولي على نسخة من مخطوطة المستشرق السويدي لاندبرج هدية مجانية من كبير الباحثين والمؤرخين الأستاذ الدكتور علي صالح الخلاقي، فله كل الشكر مني ومن كل الذين يعرفونه بكرمه وحسن أخلاقه فهو الخلاقي اسم أسرته، وتذكرت حينها أبياتاً للشاعر الشعبي الشحري عبود علي بامعرفة الذي هاجر إلى أوغندا فاستقبله هناك اثنان هما محسن ومحفوظ أولاد غالب الخلاقيان، وقد ساعداه على الإقامة هناك والعمل،

فكتب قصيدة منها هذه الأبيات عندما وصل إلى (أجانجا) المعروفة بين العامة ببلدة (قانقا) وهي من بلدان يوغندا، قال الشاعر:

والفائدة حصلت نهار المدخل　　عند الجماعة (قانقا) وصالي
محسن ينادينا قرب وتفضل　　حصلت قلبه مثل قلبي سالي
محفوظ مثله في الكرم ما يبخل　　ما يخرج الطارش وكيسه خالي
أولاد غالب طبعهم ما يمثل　　ذري الخلاقة تبر صافي غالي ...إلخ

ولقد وجدت في مخطوطة المستشرق السويدي لاندبرج هدية الدكتور علي صالح الخلاقي خمس قصائد للشاعر ابن زامل وهذه مطالعها:

١ـ يقول بن زامل بدعت أبيات في الشيخ الكبير.
٢ـ يقول بن زامل بياض الشيب في المفرق يلوح.
٣ـ يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن.
٤ـ يقول بن زامل قنع وانتكف.
٥ـ يقول بن زامل إلى قد لقاك صاحبك قفا بك وخلاك.

وثلاث من هذه القصائد وردت في مخطوطات أخريات وبعض المصادر المطبوعة وعند الرواة، لكن القصيدة الأولى مهمة هنا كثيراً وهي إحدى القصائد التي كتبها الشاعر في مدح عبد الله بن علوي الحداد الصوفي الذائع الصيت، والتي أشار إليها الأديب المؤرخ ابن عبيد الله السقاف في كتابه المخطوط (بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت) دون ذكر لها ولا حتى مطالعها، والقصيدة الأخيرة هذه جاءت في المخطوطة (صاحبك قفا بك وخلاك).

عصر الشاعر (فذلكة تاريخية):

يكاد يجمع المؤرخون على ان السلطان بدر بن عبد الله الكثيري المكنى أبو طويرق (٩٠٢ـ٩٧٧هـ) (١٤٩٧ـ١٥٧٠م) أعظم سلاطين الدولة الكثيرية، حيث استطاع أن يستولي على أكثر مناطق حضرموت وأمتد حكمه إلى خارجها، وكان في جنوده أتراك وزيود ويافع ومن أشراف الجوف، وفي زمنه ظهرت البندقية القديمة بحضرموت، ورغم ذلك فقد ظلت الثورات ضده مستمرة حتى قال أحد المؤرخين: (إن

لسان حاله يقول: كلما داويت جرحاً سال جرح..)، فقد خرجت عليه كثير من المناطق والمدن ومنهم آل كثير أنفسهم، وبلغ الأمر أن ألقى ابنه عبد الله عليه القبض وأودعه السجن في شهر صفر عام ٩٧٦هـ حتى مات في شعبان ٩٧٧هـ.

واستمر حكم آل كثير بحضرموت بين قوة وضعف منذ تأسيسها حيث يخرج الأخ عن أخيه ويخلع الطاعة الابن عن أبيه وعمه أو ابن عمه، وقد أدى هذا الأمر إلى ضياع السلطنة الكثيرية، ثم ضياع حضرموت كلها. فقد تدخل الآخرون في شئون الدولة حتى من ذوي النفوذ الروحي، فقد تولى السلطنة بدر بن عمر بن بدر بإشارة من منصب آل الشيخ أبي بكر العلويين في ١٠٢٤هـ غير أن ابن أخيه الأمير بدر بن عبد الله بن عمر تصدى له فلجأ بدر بن عمر لموالاة أئمة اليمن، وبعد أن تفاقمت الأمور وقبض على السلطان وابنه، أن خروج جيش الإمام ووصوله إلى حضرموت في شهر رجب ١٠٧٠هـ.

ورغم أن النفوذ الإمامي في حضرموت كان نفوذاً اسمياً إلا إنه يتدخل في تأييد هذا السلطان أو ذاك، على أن تدخل أصحاب النفوذ الروحي لحضرموت كان القشة التي قصمت ظهر البعير.

وفي عام ١١١٣هـ (١٧٠١م) انقسم آل كثير إلى معسكرين أحدهما يؤيد الزيدية والآخر يؤيد الشافعية، فاستقدم السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري ستة ألف مقاتل من يافع الجبل عام ١١١٧هـ (١٧٠٥م)، وكانت نقطة تحول في تاريخ حضرموت وقد تدهور الوضع تماماً فلم يكن السلطان ومن جاء بعده إلا كما يقول ابن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرية: (سلطاناً صورياً مغلول الأيدي عن كل أمر ونهي وتوقيع) وطغى الجور والضرر من الجنود والسفهاء، وازداد الحال سوءاً وعظمت الويلات والمفاسد وانعدام الأمن وتقطعت السبل وانتشرت المجاعات واستفادت العناصر اليافعية التلد (القديمة) والغرية (الجديدة) من تخاذل السلطان المردوف فاستولت على الحكم في أماكن

تواجدها ثم استطاعوا القضاء على المردوف وعلى خصومه من آل كثير أنفسهم، وباءت محاولات الكثيري لاستعادة المجد الضائع بالفشل.

وفي العشر السنين من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري لفظت الدولة الكثيرية الثانية أنفاسها وقامت على أنقاضها حكم الطوائف اليافعية في مدن وقرى حضرموت الساحل والداخل.

وفي هذه الفترة من الزمن منذ بداية القرن الثاني عشر وحتى بداية حكم الطوائف اليافعية، عاش الشاعر ابن زامل وكتب قصيدة مشهورة جداً تناولها الرواة ومنها مطلعها يقول:

يقــول بــن زامــل يعــين الله عــلى هــذا الــزمن
ذا وقت عايب وأهله أعجب ما لواحـد حسـن ظـن

إلى قوله:

يــوم المجــن ردوه عاقــل والقــوا العاقــل مجــن
وتغــير التركــوب طــف الشــين والــزين انــدحن
والكــذب والباطــل ظهــر والصــدق والحــق انــدفن

والـــزور والبهتـــان فاشـــت والنميمـــة والفـــتن
مـــا حضـــرموت إلا رمـــت رميـــة وبليـــت بـــالفتن
واتعكســت مــن كــل جانــب وامتلــت خــص الــوطن
ملــك الكثـيري لي خلــق للخســف والنقمــة مكــن
ضـــائع بـــلا قـــاضي ولا ســـلطان بـــه عـــادل ســـكن
كم ذا البلاء والجور في وادي ابن رشد مرج حن ... إلــخ

ويلاحظ أنه ذكر جزءاً كبيراً من حضرموت مساحته ما بين (عقبة حروبة) بالجزء الأعلى من وادي عمد (وجبل علي بن قطن) في الشرق وبقع كما نعتقد بجبال ظفار وذكر أهم أجزاء وادي حضرموت (وادي ابن راشد) وهو الجزء الذي ينسب للسلطان عبد الله بن راشد (٥٩٢ـ٦١٦هـ) انظر كتاب (تاريخ الحامد) جزء ٢/ ٤١١.

ابن زامل وقبيلته:

يرى بعض المؤرخين في التركيب العشائري لقبائل حضرموت أن هناك اتحادات كبرى تطلق عليها الأزياء ومفردها (زي) فهناك الزي

الحمومي، والزي السيباني، والزي الظني والزي الشنفري، وأنها لا تتعلق كلها بالأصول، أو النسب الواحد، حيث الانصهار والانفصام يحدث لأسباب عديدة، فقد يحدث الانصهار، أو الانضمام في إحدى التجمعات تحت الإكراه، ويتم الانفصال أو الانضمام إلى اتحادات أخرى عندما تفقد المصالح، أو للضرورات.

والزي الشنفري يتكون من آل كثير ولهم الرئاسة على بقية قبائل هذا التجمع الاتحادي، ومن آل العامري (العوامر) ومن آل جابر (الجابري) ومن آل باجري والشاعر المطرب ابن زامل منهم.

وآل باجري يعودون في أصولهم إلى سكان البلاد الأصليين قبل غزوات آل كثير وتكوين دولتهم في حضرموت، وإنهم أي آل باجري انضموا إلى الاتحاد الشنفري بالاختيار ويسكنون بلدة (بور) وما حولها من قرى وجبال ووديان، وهي التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سيئون بوادي حضرموت (انظر كتاب أدوار التاريخ الحضرمي للشاطري).

وتنقسم قبيلة آل باجري إلى فخائذ أهمها: آل حمد بن علي والشاعر منهم، وآل قصير، وآل بدر بن محمد، وآل حسين بن علي، وآل بدر بن علي، وآل حمود، وآل سالم بن عمر، وآل عبود (إدام القوت لابن عبيد الله)، ويضيف الشاطري في أدواره إلى فرع منهم هم (آل ابن قطامي) وعدهم من حكام القبائل التي ترجع إليها في النزاعات (ص٣٤٦).

اسم الشاعر ابن زامل:

يؤكد لنا كل من ابن عبيد الله السقاف، وعبد القادر محمد الصبان من أن الشاعر ابن زامل هو من آل أحمد بن علي، إحدى فخائذ قبيلة آل باجري، وأنهم لا زالوا إلى يومنا هذا في محلتهم ببلدة (بور) وما حولها من قرى وبلدان، وذكر لنا الأديب الشاعر سالم زين باحميد أن الشاعر هو علي بن أحمد بن زامل باجري.

وابن زامل اسم معروف في المنطقة فقد ذكر المؤرخ أحمد عبد الله شنبل العلوي (ت: ٩٢٠هـ = ١٥١٤م) في تاريخه المشهور بتاريخ شنبل في حوادث عام ٨٩٤هـ (١٤٨٩م) عن وقعة الحسيسة مشيراً بأن أحد

القتلى كان زامل باجري (ص٢٠٦) وورد اسم زامل بن شهران باجري في حوادث عام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) ص٢٣٧.

ويخبر الأديب المؤرخ ابن عبيد الله عن ميزة يتحلى بها أفراد قبيلة آل باجري ولهم أن يعتزوا بها يقول: (وكان آل باجري من أبعد قبائل حضرموت عن السلب والنهب حتى في أيام الفوضوية (إدام القوت، عند ذكر بور).

أصل قبيلة آل باجري:

وصل صديقنا الأستاذ الباحث البخيت حسن العساني، وهو رجل ذو اهتمام غير عادي بأنساب قبائل سكان حضرموت قديماً وحديثاً، لقد وصل إلى أصول بعض القبائل الساكنة حضرموت ومنها القبيلة الساكنة بلدة بور وما جاورها، فقد رأى أن الهمداني في كتابه الشهير (الإكليل) يقول أن آجرة من ولد غسان من الصدف (ج٢/ ٣٣) وإفادة هذا بأن آجرة هم قبائل (آل باجري) وليس غير ذلك، نعم ولقد أيدته في ذلك لأسباب لعلي قد آزرت رأيه على أساس ذلك وبينة منها: أن المؤرخ محمد

أحمد الشاطري في أدوار التاريخ يقول في قبيلة آل باجري أنهم يعودون في أصولهم إلى سكان البلاد الأصليين قبل غزوات آل كثير حضرموت وتكوين دولتهم فيها (ص٣٧٧).

وأن الهمداني يقول عن وجود قبيلة الصدف بحضرموت: (وكان بحضرموت الصدف من يوم هم) ذلك في كتابه (صفة جزير العرب، ص١٦٦) عند حديثه عن بلاد حضرموت.

ويرى ابن عبيد الله السقاف عن أبي شكيل وآل باخطيب وآل غانم من سكان بور وأنهم من الصدف (إدام القوت، تحقيق محمد باذيب ص٧٧٢، ومن تحقيق إبراهيم المقحفي ص٤٢١).

وقد ذكر الهمداني آل الخطيب عند ذكره للآجري (آل باجري) وهو ما أراه الصحيح في نسب خطباء تريم وأن ما ادعوه من نسبهم إلى الأنصار إنما هم فيه واهمون (انظر الهمداني في الإكليل تحقيق محمد علي الأكوع ص٣٣).

بور بلدة الشاعر ابن زامل:

الشاعر المطرب ابن زامل من أهل بلدة (بور) وهي بلدة قبيلته آل باجري، وتقع هذه البلدة ببطن وادي حضرموت وإلى الشمال الشرقي من مدينة سيئون عاصمة الوادي اليوم، وعاصمة الدولة الكثيرية السابقة للاستقلال وتبعد عنها بحوالي عشرة كيلو.

وبور بواحدة تحتية بعدها واو ساكنة وتفتح اللفظة بحرف الباء لتكون الكساد، أو بالضم (بُور) فهي مالم يزرع من الأرض وأظنها ما يعنيه الاسم.

وهي من البلدان القديمة غير أن الهمداني لم يذكرها فيما أعرف، وفي ديوان أبي إسحاق الهمداني حاكم حضرموت الأباضي (ت نحو ٤٧٥هـ = نحو ١٠٨٢م) ذكر لها حيث وردت عنده لبلدان أباضية حضرموت الذين يقفون إلى صفه حيث يقول:

وكم في (مدود) أو تريس) وأختها (حبوض) و (بور) من أباضي راغب

صفحة ٩٧ من الديوان

ويلاحظ أن المحقق لم يفطن إلى اسم (مدود وتريس) قريتان قريبتان من مدينة سيئون، ومدود تعرف اليوم بمدودة وحبوض هي (حبوضة) ولم تعد اليوم إلا أطلال، وتقع إلى الشمال من مدينة سيئون وينسب إليها الأمير سالم بن إدريس الحبوضي صاحب مدينة ظفار العمانية (انظر ما كتبناه عنها بمجلة العرب، عدد يونيو ـ يوليو عام ١٩٩٧م).

ويلوح لنا صحة ذلك من أن البعض من سكانها القدماء هم آل الخطيب وآل باغانم وكلاهما من قبيلة الصدف، ذكر ذلك القاضي مسعود باشكيل (انظر إدام القوت ص٧٧٢) وقد أورد الهمداني في (صفة الجزيرة) أن الأباضية في قبيلة الصدف كثير ص١٧٢ تحقيق الأكوع ط٣.

وقد جاء ذكر (بور) أيضاً في حوادث القرن السادس الهجري حيث ذكر المؤرخ شنبل العلوي في تاريخه وقعة (صوح) وهو موضع يقرب من (بور) سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م) وتصحيح العبارة من تاريخ محمد عوض باحنان المعروف (جوهر تاريخ الأحقاف ج٢/ ٩٢) والشيخ

عمر عبدالله بامخرمة يستهل كثيراً من قصائده بذكر بور باعتبارها من ديار عاد وفيها مدائح منها قوله:

يا (بور) يا جنة الدنيا   يا مصرنا ذي لها شارة

وقد وصفها في أخرى بأنها (الدمنة) حيث يقول قبل أن يتفاقم الخلاف بينه والسلطان بدر بن عبد الله الكثيري سلطان حضرموت (٩٠٢_٩٧٧هـ) (١٤٩٧_١٥٧٠م):

ثلاثة الله جمعهم في كمال الكمال   كفى بها بدر والدمنة وباهي الجمال

انظر الديوان

ونحن نعتمد هنا كتاب ابن عبيد الله السقاف (إدام القوت) حيث يقول: (وقد عُرف مما سبق في الغرفة وسيئون أن ولاية بور كانت لآل باجمال، ثم انتزعها منهم آل بانجار الكنديون أو المدحجيون على اختلاف الأقوال فيهم.

ولما جاءت سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) هجم آل كثير على بور واستولوا عليها وقتلوا جماعة من آل النجار.

وكانت بور قاعدة ملك آل كثير برهة من الزمن وهذا مما يتأكد به أن سيئون كانت خراباً، وإنما تجددت عمارتها شيئاً فشيئاً أكثره في القرن العاشر الهجري، ولما ضعف أمر آل كثير ببور واشتدت الفوضوية فيها وفي أعمالها، سعى آل بور وآل باجري في استقدام أحمد بن علوي العيدروس وأقاموه منصباً على بور، وكان آل بور محتاجين إلى والٍ يجتمعون عليه، وأقام على المنصبة حتى وفاته سنة ١١٠٤هـ (٢/ ١٦١٣م) وخلفه ابنه علوي ثم ابنه عبد الله بن علوي المتوفى ببور سنة ١١٤٥هـ (٢/ ١٧٣٣م) ا.هـ). وهو صديق الشاعر ابن زامل وسوف ترد ترجمته لاحقاً، ويضيف ابن عبيد الله في إدام القوت:

وفي غربي بور ديار آل أحمد بن علي باجري... وفي شمالها مكان يقال له (الحاوي) عذب الماء جداً، ابتنى به المنصب السابق المرحوم علي بن عبد القادر العيدروس قصراً ضخماً وسكنه آخر أيامه، ثم بنى على مقربة

منه مسجداً.. وفي غربيه بحضيض الجبل الغربي قبر يقال إنه قبر حنضلة بن صفوان عليه السلام.. وفي شمال قبر حنضلة قرية يقال لها الرييدة وفي غربيها وادي مدر.

وفي جنوب بلاد بور أرض واسعة لا يعرف ملاكها وفيها آثار عمارات إسلامية، غرسوها نخلاً فزكا ونما وهو عثري يشرب بعروقه ولا يحتاج إلى سقي من الآبار إلا في الابتداء.

وفي شرقي بور عرض عبد الله، وسكان العرض طائفة آل باجري، وفي بور كثير من القرى لم نذكرها منها: عرض مولى خيلة في شمال بور، وبئر المديني والقفل ومكان آل معتاشي ومقيبل، وفي ضواحي بور قارة جشير.. انتهى ما ذكره ابن عبيد الله بتصرف. ومن يرد الاستزادة فليرجع إلى كتابه (إدام القوت) عند ذكر (بور).

ما قيل عن شعر ابن زامل وتأثيره:

ليس لدينا في الحقيقة إلا عدد قليل من قصائد الشاعر ابن زامل وهي كل ما استطعنا جمعه من إنتاج هذا الشاعر الذي وصفه ابن عبيد

الله السقاف في كتابه (إدام القوت) بأنه شاعر مطبوع، غير أن الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف يقول: (له أشعار محفوظة وهو شاعر غنائي غزلي حكمي) أي أنه من شعراء الحكمة، لكن المركز اليمني للأبحاث الثقافية فرع سيئون لم يستطع جمع أكثر من خمسين بيتاً شعرياً له جاءت في ورقتين، أما فرع المكلا فإن قسم الأبحاث به يعلن من أنه يحتفظ بدراسة عن الشاعر من الناحية التاريخية والأسطورية تضم بعض القصائد المعروفة، ولم أتمكن من الاطلاع على تلك الدراسة بسبب ضياعها كما قيل لي.

وقد أفرد الأستاذ الشيخ عبد القادر محمد الصبان فصلاً قصيراً من القسم الثالث من كتابه (شعر الجمهور) الذي صدر منسوجاً بآلة النسخ الرونيو في نسخ قليلة، أهداني ـ رحمه الله ـ نسخة منها وقال فيه: (شاعر فحل عرف بهذا الاسم.. وهو شاعر معروف شعره في الأوساط بحضرموت وهو من شعراء القرن الثاني عشر الهجري.. ويمتاز شعره بالجزالة وبمعالجة القضايا بشعر انتقادي، يصور الواقع المعاش أحسن

تصوير)، ثم أورد له قصيدة وأبياتاً من أخرى ونتفاً من ثالثة. وقال عن الأولى: (صور ابن زامل الواقع المعاش في عصره هنا بقصيدة فريدة، تعد من غرر شعرنا الحميني بصراحتها ودقة وصفها) وقد أوردنا بعضاً من أبياتها ومطلعها:

يقـول ابن زامـل يعين الله على هـذا الزمـــن

ومنها قوله :

مـا حضــــرموت اليـوم مثـل المـال لي مالـه ثمـن

راحـت متـاره مـن فعـل شي مـا تعاقـب وامـتحن

من شلت إيده شيء تشله وإن وقـع بـه صـوب ون

سـكره مـع بطـره ودولـه مســـرفه والطبـل حـن

وإذا رقص واحد قفز لاخر على الرقصة زفن ..إلخ

ثم أخذ يبين الأسباب التي أدت إلى تدهور الوضع وانزلاقه إلى ما هو فيه:

ما شي سبب غير الحرام السحت والبغي اقترن
والغش والقصران لو حد كال أو واحد وزن
حزناه كله والربا عاده ينقرها دمن
هو لي يزقل يا جماعة في أرضنا مثل الزون ..

وكان المؤرخ الأديب عبد القادر محمد الصبان قد نشر القصيدة كاملة وشرحها وعلق عليها في كتابه (دراسات في الشعر الشعبي) الذي صدر عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية م/حضرموت، فرع المكلا بآلة النسخ الرونيو دون تاريخ وذيل المؤلف مقدمته بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٩٧٨م.

تأثير الشاعر ابن زامل على الشعراء الآخرين:

وكان الشاعر ابن زامل الحضرمي أحد الشعراء الذين لهم تأثير كبير على شعراء العامية اللاحقين له، حيث يذكر في أكثر من مقام وعلى سبيل

المثال يذكر كأحد شعراء الحكمة والمقدرة والتمكن من امتلاك ناصية الابداع الشعري.

وهذه أبيات من قصيدة الأمير حسين بن عبد الله القعيطي المتوفى منفياً من قبل الإنجليز بحيدر أباد الهند عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) وهو هنا يمتدح نفسه ويفجر زفرات متلاحقة من استجرار الظلم الذي لحق به في قضية الإمارة المشهورة، فقد نفاه الإنجليز وأرغموه على الصعود إلى باخرة نقلته إلى حيدر أباد الدكن وألحقت به أخاه منصر بعد أن وقفا معاً ضد عمهما السلطان عوض بن عمر القعيطي المشمول برعاية الإنجليز في ذلك الزمن (انظر عكاشة، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، نشر دار ابن رشد، عمان الأردن ١٩٨٥م).

قال الأمير الشاعر:

وقــــل لعبـــد الله جتـــك إمحـــبره　　متناســـقه مبنـــي حجـــر مرصـــوعه

لا قـــول (بوعـــامر) ولا (بـــن زامـــل)　　مـــن هاجســـي لي مبعـــدات فروعـــه

وأخذتها قرضه ولا مــن حــد سـلف　　ولا اكتب الملساء ولا المقطوعه ..إلخ

وهي أبيات من قصيدة طويلة له مطلعها:

يا الله يا من لك نعم ما تحتصي   يا المنفرد بأحكامك المطيوعه

وهي رد على قصيدة الشيخ عبد الله بن محمد باهرمز وهو من مواليد مدينة الشحر والمتوفى بحيدر أباد الدكن عام ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ومطلعها:

يـا مـن ملـك   شرقهـا والغـرب يـا سـاتر

يـا مبتـدأ   يـا عظـيم الشـأن يـا سـتار

ومن قصيدة الأمير هذه الأبيات:

ثـم قـال مـن بيـت منامـه زاعـل   والطـرف سـاهر مـا هنيـه هجوعـه

بيـت سـمير السـبعه السـياره   لمـا شـعاع الفجـر بـان سـطوعه

لا هـم مـن وقتـي ولا بي خيفـه   مـن حـد ولا دعـوى عـلى مسموعه

إلا ذكـرت الشـيخ عبـد الله   بـاهرمز ونظـم أبياتـه المربوعـه

يصـغى بهـا المحفـل وأذن السـامع   في مثـل الجـوهر في ذهـب موضـوعه

يـرعش بهـا المسـمر إذا طـاب السـمر   في ليـل حضـروا بـه رجـال يفوعـه

يسـجع بهـا (عيضـه ويسـلم) بيـنهم   (بأصوات عربيه) سوى منخوعه ..إلخ

قد صارت قصيدة الشاعر باهرمز من القصائد المشهورة المغناة في الأسمار بحيدر أباد على (الأصوات العربية) التي كان يترنم بها المغنون العرب هناك ومنهم من ذكرهم الشاعر المغنيان عيضة ويسلم.

الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف تحدث عن الشاعر الأمير فقال: إنه من الشعراء العلماء الذين يكتبون الشعر في بساطة القول وعمق المعنى، وهو في غير حاجة لأن يذكر الشاعرين (بوعامر) و(ابن زامل) لكنه هنا ينبه السامع بأن لا يظن أن القصيدة لأحدهما إذا بهرته مقدرته على قرض الشعر.

أيضاً ورد اسم الشاعر ابن زامل في قصيدة الشاعر عبد هود عبيد حنشي المتوفى بسيئون عام ١٣٧٦هـ (٥٥/ ١٩٥٦م) وذلك في معارضته لقصيدة الشاعر صلاح أحمد الأحمدي التي كتبها في مهجره بالهند بعد توقيع معاهدة الاستشارة بين السلطان صالح بن غالب القعيطي سلطان حضرموت، والإنجليز ١٩٣٧م ومطلعها:

اطلبك وادعوك يا مطلق من الساق القيود

يا حي ياقيوم يا جيد وغيرك ما يجود

والقصيدة مشهورة جداً نشرت في أكثر من كتاب وبحث من عرب وأجانب (انظر كتاب إثبات ما ليس مثبوت لعبد الخالق البطاطي، والشعر الوطني لأحمد عوض باوزير).

أما أبيات قصيدة الشاعر حنشي التي نحن بصددها فمنها قوله:

لا صلح نسرح به ولا عرضه ولا قوله سديد
قد قال (بن زامل) و (عبد الحق) و (ناصر بن سعيد)
وقال (بوريا) وغيره كم تجروا في القصيد
كل مضى عمره وهو مقهور يا كمين جيد.. إلخ

وقد ضمن قصيدته بيت من الشعر الوارد من قصيدة ابن زامل (لا صلح تسرح به ولا عرضه..) أما الأسماء المذكورة فهم من شعراء العامية الحضارمة المشاهير وهم:

سعيد عبد الحق الدموني:

من مدينة دمون التي تجاور مدينة تريم توفي عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) اعتنى بطبع أشعاره في ديوان (الوقائع فيما جرى بين آل تميم

ويافع، علي بن أحمد بن شهاب في عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) بمطبعة كالزار حسني بومبي بالهند)، وكتب عنه المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف كتاباً بعنوان: (المعلم عبد الحق، الشاعر الشعبي الأول) صدر عن مطابع الحرية ببغداد في طبعته الأولى عام ١٩٧٤م، وصدرت الطبعة الثانية عن دار الهمداني بعدن عام ١٩٨٣م.

ناصر بن سعيد بن حيمد:

وهو ما في ظني أنه يقصده وهو من الشعراء المجيدين للقصيد ومساجلات رقصة الشواني، أمي من أهالي غيل باوزير ميلاده بها وتوفي بمدينة الشحر في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي، ذكره في إيجاز الأستاذ سامي محمد بن شيخان في كتابه (نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير) ص١٧٥.

أبو ريـــا:

لا يعرف من اسمه إلا كنيته التي جاءت من اسم ابنته (ريا) مع أنه يبدأ قصائده أحياناً بقوله: (بن علي قال) وهو من فلاحي مدينة بور بلد

الشاعر ابن زامل ومن شعراء القرن الثاني عشر الهجري ومن شعراء الحكمة، طرده أحد الإقطاعيين من مزرعته الصغيرة بسبب عجزه أيفاء دينه، ومات في أحد المهاجر مجهولاً، له ديوان شعر مخطوط محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني كما تشير لنا وثائق الأستاذ محمد بامطرف ويحتفظ المركز اليمني فرع سيئون باثنتين وستين قصيدة تشتمل على (١٥٦٢) بيتاً، جاء ذلك في الفصل الذي أفرده المؤرخ الأديب عبد القادر محمد الصبان في كتابه (شعر الجمهور) وفيه أنه من سكان العروض شمال سيئون وأنه أوصى أن يدفن بها، وهذا يدل على أنه توفي بالوطن وهو بهذا يخالف رأي الأستاذ بامطرف كما جاء في وثائقه الخاصة.

الجانب الأسطوري في حياة ابن زامل:

الأوساط الثقافية هنا لا تعرف إلا ما لا يروى غلة عن أخبار الشعراء أبو عامر والحميد بن منصور ويحيى عمر وابن زامل وحسين زايد وأبو ريا وعبود وغيرهم، رغم أن أكثر الرواة يرددون أشعارهم

ويرددون شيئاً عن حكاياتهم ومغامراتهم التي تدخل بعضها إلى جانب الأسطورة، وذلك لعدم تسجيل قصائدهم ونبذ ولو قصيرة عن حياتهم في زمنهم، وفيما يبدو عدم الاهتمام بهذا الأمر عند السابقين إلا فيما ندر، حيث وفق الله تعالى القليل منهم بحفظ القصائد التي تؤدي وظيفة لدى المجتمع فكان ما كان.

ولكن ظهرت أخيراً بعض الدراسات عن هؤلاء وفنونهم، ومنهم:

ـ الشاعر أبو عامر، وهو من شعراء الحكمة عاش في القرن السابع الهجري، وقد كتب عنه الأديب الراحل علي أحمد بارجاء كتيباً جاء بعنوان (الشاعر الحكيم أبو عامر) صدر عن سلسلة دفاتر أدبية.

ـ الشاعر الحميد بن منصور، وهو فلاح جنوبي يعد من شعراء الحكمة والموعظة، صدر كتاب باسم الحكيم الفلاح الحميد بن منصور للدكتور علي صالح الخلاقي، الطبعة الثانية ٢٠١٠م عن مركز عبادي للنشر، صنعاء ط٢ ٢٠١١م.

ـ يحيى عمر اليافعي، كفانا مؤنة البحث عنه وشعره الدكتور علي صالح الخلاقي ونسخة منه هدية لي بعنوان: (شل العجب شل الدان) دراسة عن يحيى عمر وحياته وأشعاره، وهو أجمل ما قرأت عن هذا الشاعر المطرب، وقد صدرت الطبعة الثانية دون تاريخ ولامكان.

ـ ابن زامل الشاعر المطرب الحضرمي، وهذا الكتاب محاولة مني للتعريف به وبشعره وحياته وفنه.

ـ حسين زايد، شاعر من أهل مصر كان أستاذاً بالجامع الأزهر بالقاهرة وكان متخصصاً بتدريس علم المواقيت انظر ما كتبناه عنه في العدد (٢١) من مجلة حضرموت الثقافية الصادرة في شهر يوليو ـ سبتمبر ٢٠٢١م.

ـ أبو ريا وأخو علوي، انظر ما كتبناه عنهما في كتابنا (معجم شعراء العامية الحضارمة، وما كتبه عنهم الأديب الشيخ عبد القادر محمد الصبان في كتابه (الشعر العامي الحضرمي) الذي صدر عن دار حضرموت للدراسات والنشر ط١، ٢٠٠٧م.

وخذ مثلاً في حالة الشاعر المطرب ابن زامل والذي نحن بصدده في كتابنا هذا، فقد ذكره بعض الباحثين الذين عاصرناهم ونعاصر البعض منهم. قال أحدهم: (عاش في حضرموت منذ ما يقرب من مائة سنة) وقال آخر: (لم نعثر على معلومات دقيقة مؤكدة تحدد الفترة التي عاش فيها ابن زامل في قرية بور بحضرموت، إلا أنها فيما يبدو كانت قبل قرون) وقال ثالث: (شاعر فحل عرف بهذا الاسم والكنية... وهو من شعراء القرن الثاني عشر الهجري كما تلقينا ذلك عن الرواة الثقاة). كل هذا جعلنا نقبل العذر من الباحث البحراني الأستاذ مبارك عمرو العماري الذي قال في مقدمة كتابه الضخم عن فنان البحرين محمد بن فارس عن الشعراء الذين غنى لهم بعض قصائدهم فقال: (وبعضهم يصعب الحصول على ترجماتهم... وخاصة بعض شعراء الحميني، غير المترجم لهم في أي من المصادر أمثال يحيى عمر، وأخو علوي وابن زامل وحسين زايد وأحمد بن سعيد الواحدي وغيرهم).

إن إهمال شخصية الشاعر والاهتمام فقط بأشعاره التي حققت بعضها الخلود لامتلاكها ناصية الابداع الفني أو لترديدها مع الألحان الجميلة التي وضعت لها من قبل الفنانين على اسطوانات مدعاة للسؤال عن صاحبها، وهو سؤال مشروع، لهذا حاول البعض وضع التفاسير والمعاني ومناسبات تلك القصائد.

ولنا محاولات بالتعريف لبعض هؤلاء مثلاً عن يحيى عمر وقد اعتمدنا على ما صدر عن الدكتور علي صالح الخلاقي واهتمامه بهذا الشاعر الذي وصف بأنه الشاعر المقتبس ـ أي ي صاحب آلة القنبوس ـ الذي عاش جزءاً من حياته في بعض المدن الهندية.

وحول الشاعر ابن زامل فهذا الكتاب يهتم بهذا الفنان أو الشاعر المطرب علي بن أحمد بن زامل باجري الحضرمي.

بقي عندنا الشاعر المطرب أخو علوي وهو زين بن عبد الله علوي الحداد وقد كتبت عنه مقالة قدمت كورقة في المؤتمر الرابع لاتحاد الأدباء

المنعقد بعدن، ثم نشر المقال كاملاً في مجلة شعاع الأمل عدد (٩٤) في يوليو ٢٠٠٩م.

والشاعر حسين زايد نشرت عنه مقالة بالعدد (٢١) من مجلة حضرموت الثقافية الصادرة في شهر يوليو ـ سبتمبر ٢٠٢١م.

والأخير الشاعر أحمد بن سعيد الواحدي، كتبنا عنه مقالة نشرت بالعدد (٢٢) من مجلة (حبان) الصادرة في أغسطس ـ سبتمبر ٢٠٠٥م.

وكل هؤلاء الخمسة كتبت عن كل واحد منهم نبذة صغيرة نشرت في كتابنا (معجم شعراء العامية الحضارمة).

إن الإهمال والتكاسل في عدم تسجيل تلك القصائد وأخبار الشعراء وربما القصص التي رافقت انتشارها، ولد مع مرور الزمن والأيام حكايات ربما يكون بها شيء من الحقيقة، ثم أضيف إليها ما يعرف بالكذب الفني حيث يتم ربط تلك الحكايات وإتقانها وحتى تثير

فينا المتعة والخوف والرجاء والتفقه والتطهير، فجاء بعضها بما لا يقبله عقل ودخلت إلى نمط من الحكايات الأسطورية، ولربما كانت تلك القصائد قد أوحت للرواة بهذه الحكاية أو تلك قال الشاعر حسين أبو بكر المحضار:

لولا الغناء والشعر ما بايفهم القضية أحد

وقال في أخرى:

ومن خلاف الشعر يقدر يجمع الحب المطير
ويفتح الأبواب بالإقليـد ذي ما له حناديـد

إن وضع الحكايات المدعمة للقصائد مع اليسير من أخبار أصحابها ربما تدخل فيه الوجدان الجمعي لمعالجة بعض القضايا الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع في الحياة الاجتماعية يومياً، وذلك كعبرة بنهايتها المؤلمة وأحياناً فهي تؤدي وظيفة رغب المجتمع في نشرها لتقوم بما يراه

المناسب والصحيح، ففي حكاية (الحميد بن منصور) كيف يمكن تعاطي الخمور سبباً في ارتكاب الموبقات، وفي حكاية (يحيى عمر) نرى كيف أن إهمال العار، أي ترك البنات دون تربية ورعاية مباشرة يؤدي إلى ارتكاب المحرمات، فربما تزوج الرجل ابنته أو أخته أو إحدى محارمه، وفي حكاية (ابن زامل) الرفض التام للعرف السائد من أن ابن العم له الحق في فسخ أي خطبة لابنة عمه إذا كان راغباً أو غير راغب في خطبتها وعلينا استرضاؤه، فهو له حق الشفعة وكأنها مال أو عقار، وهي سوارح وقوانين عرفية جرت منذ سنين والتي أدت إلى موت الفتاة المخطوبة، وقد عالج الشاعر المحضار هذه المسألة في عمل درامي غنائي عرف فيما بعد باسم (الضحية):

ابن العم الخاطب: شل نفسك رفع يا ذا القبيلي حبالك

بنت عمي لي وحدي ولا سيبها لك

خلها لا تقاربها وخذ كل مالك

العريس: بنت عمك حلالي اليوم ما هي حلالك

ارتضت بي وحبتني وبغضت فعالك

باخطمها أنت سر فعل ما بدالك

ابن العم: رح خطمها إلى أنته صدق شفها قبالك

انت (مرفوت) حسب السارحة والمسالك

وان تقدمت خطوة شفك ميت وهالك .. إلخ

ولفظة (مرفوت) هنا هي مرفوض حتماً ولا يجب الاستمرار في الاحتفال بالزواج، ولن يتم هذا الفرح إلا من ابن العم.

إن هذه لتذكرنا بالمسرحية الشهيرة للكاتب المسرحي آبسن وهي المسرحية التي عرفت بعنوان (الصفقة).

وعلى أي حال فإننا لا نستطيع أن ننكر حكاية الشاعر ابن زامل مع محبوبته فهي واردة وتردد مع القصيدة المغناة التي كتبها الشاعر نفسه، إلا أن القصيدة والقصة تقدم في روايات مختلفة ولن نجري وراء الروايات

الكثيرة، ولكننا سنقتصر على روايات جاءت في بعض الكتب والأبحاث، ونموذج واحد فقط للرواية الشفاهية.

رواية قصته الغرامية :

ويظهر أن مثل هذه الروايات قد انتقلت إلى خارج حضرموت، فقد ذكر الأستاذ مبارك عمرو العماري الشاعر ابن زامل قائلاً: (ومن الشعراء المغنيين الشاعر الحضرمي (ابن زامل) الذي كانت له حكايات ومغامرات وصار أسطورة كسابقه (يحيى عمر) ومن الحكايات التي رويت عنه أنه أحب فتاة من بلده ولكنها تزوجت بأحدهم، وجاء بها إلى البحرين عن طريق البحر، ولما اشتد بالشاعر الشوق إليها تبعها إلى البحرين وتلمس أخبارها فوجدها قد سافرت إلى الحج، فتعقبها حتى أدركها في مدينة جدة وعرف منزلها الذي تقطن فيه، فاستأجر المنزل المقابل وحينما علم أنها في البيت قام إلى عوده ورفع صوته مغنياً، ولما سمعت صوته اقتربت لمعرفة صاحب الصوت وحينما شاهدت (ابن

زامل) سقطت على الأرض جثة هامدة بعد أن توقف قلبها من هول المفاجأة) كتاب العماري، محمد بن فارس ج١/ ٣٥ـ وزارة الإعلام البحرين ط١٩٩١م. ولم نستطع معرفة المكان الذي سمع فيه الرواية، ثم إن الباحث بدر جعفر بن عقيل اعتمد على رواية الشاعر الشعبي مستور حمادي الذي استند هو الآخر إلى ما ترويه الذاكرة الشعبية من (أنه أحب فتاة من بلده وقد جاءت إلى بندر المكلا مع والدتها ليزوجها أحد من أبناء صور/ عمان وسافر بها إلى بلاده عن طريق البحر، ولما علم ابن زامل بذلك واشتد به الشوق والهيام ركب أول سفينة متوجهة إلى عمان، وظل يتلمس أخبارها حتى أدركها وعرف منزلها فاستأجر المنزل المقابل وفي ليلة هادئة وعندما علم بوجودها في منزلها، داعب أوتار عوده بأنغام شجية وغنى بصوت مرتفع الأمر الذي دعاها أن تطل من النافذة لمعرفة صاحب الصوت، وحينما شاهدت ابن زامل ومن شدة المفاجأة رمت بنفسها من النافذة فوقعت على الأرض جثة هامدة) (بدر بن عقيل،

إبحار في أشعار يحيى عمر اليافعي، مؤسسة الثورة للصحافة، صنعاء دون تاريخ).

وأول ما يشد النظر أن هذه الذاكرة الشعبية أفادتنا بأن الشاعر ابن زامل لم يسافر أبداً ولم يغادر إلى خارج حضرموت، ثم أن بندر المكلا وإن أسس بها أحد أفراد آل كساد أمارتهم بها في عام ١١١٥هـ (٣/ ١٧٠٤م) فإنها ظلت كما هي حتى بعد وفاة الشاعر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، قال ابن زامل:

وإن حيث ما تقفي وتترك للوطن وأنت فسيح
فكرت أن السلسلة والقيد ترزح به رزيح
أهلك ومالك والوطن محبوب لو كيله شحيح
رض وانطرح للحول والقدرة وكن تحته طريح
وثق بحبل الله واحذر من على بابه تزيح
إن كنت به واثق فلا تخشى على سرك يبيح

وتتفق رواية الأديب الشاعر الشيخ الراحل سالم زين باحميد مع الرواية التي ساقها الأستاذ سالم علي عبد الله الجرو في كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز) غير أنها تنتهي في مدينة الشحر على ساحل بحر العرب، وملخصها يفيد: من أن الشاعر خطب بنتاً بعد أن رآها وشغفه جمالها وتمكن من الاتصال بها وعرفها بهدفه فبادلته المحبة، وكان ذلك في بلدتها قرية (تريس) القريبة من مدينة سيئون غير أن ابن عمها تقدم لخطبتها بعد أيام، فحاولوا صرف الشاعر عن خطبتها بتدنيس شرفها، لعدم قدرتهم على مواجهة الشاعر ابن زامل لنبله وشجاعته وشدته، لكنها سافرت إلى سكن وبلدة ابن العم مدينة الشحر لتزف هناك إليه، واكتشف الشاعر ابن زامل حقيقة الفتاة وشرفها فتبعها إلى الشحر، فوجدهم على الاستعداد لقيام حفل الزفاف فأطلق من غرفة مجاورة زفرات الحزن والحسرة على ما فرط غناء على أوتار عوده، فطلت من شباك البيت ولم تعد منه إلا جثة هامدة (انظر بلاد الأحقاف صفحة ١٥٠ وما بعدها).

وجاء في فهرست المواد التراثية المدونة والمسجلة بقسم التراث التابع لإدارة الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بمحافظة حضرموت ما يلي: (وجود دراسة تحمل رقم (٣٦) عن الشاعر ابن زامل من الناحية الأسطورية والتراثية، وتضم بعض قصائده المعروفة والمتداولة، ولم يمكنني هذا القسم من الاطلاع عليها لضياعها كما قال أحد المسئولين بالقسم.

الأديب باكثير وقصة الشاعر ابن زامل:

لكن رواية شفاهية لقصة الشاعر ابن زامل جاءت في مقدمة لقصائد وحياة الشاعر الشعبي السيئوني مستور سليمان حمادي المتوفى بسيئون في ١٦ مارس ١٩٧٥م والتي جمعها الشاعر الشعبي ناصر يسلم بن ناصر المتوفى بسيئون في ١٧ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ديسمبر ١٩٩٨م وقد كتب المقدمة الأستاذ جعفر محمد السقاف وقد صدر عن اتحاد الفنانين بسيئون عام ١٩٨٣م في الطبعة الأولى بآلة النسخ الرونيو.

وقد جاء في تلك المقدمة التي كتبها الأستاذ جعفر محمد السقاف ما يلي: (وكان الأستاذ علي أحمد باكثير معجباً بإبداعه في معانيه الشعرية وعلى اتصال وثيق به، يقصد شعر الشاعر مستور حمادي، حتى أنه عندما عاد إلى سيئون عام ١٩٦٨م جلس معه عدة جلسات تذكرا فيها أيام الشباب بسيئون كما التقط منه تسجيلاً صوتياً لأسطورة الشاعر ابن زامل وأشعاره المغناة، على أن يخرجها الأستاذ باكثير في قالب مسرحي، لكن الأيام لم تطل بالأستاذ علي باكثير حيث عاجلته المنية وكان ذلك في ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م بالقاهرة).

لكن الدكتور محمد أبوبكر حميد كتب اثنتي عشرة حلقة تحت عنوان: (قصتي مع تراث باكثير) ونشرها بصحيفة (البلاد) السعودية بعمود (يوميات البلاد) ابتدأ من العدد (٩٩٩٧) الصادر في ٧ نوفمبر ١٩٩١م وحتى العدد (١٠١٠٢) الصادر في ٢٠ نوفمبر ١٩٩٢م، وجاء بالحلقة السابعة المنشورة بالعدد (١٠٠٦٧) الصادر في ١٦ يناير ١٩٩٢م

ما نصه: (ويمكن القول الآن أن موروث باكثير ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الأول مادة أدبية جاهزة للنشر، والثاني مادة تتعلق بحياته الشخصية تعين الباحث على الكتابة عنه، والثالث متعلقاته ولوازمه الشخصية تعين على إنشاء متحف له).

وعن المواد الأدبية يشير بأن (أهم هذه المواد الجاهزة للنشر التي وجدت حوالي عشر مسرحيات مطبوعة على الآلة الكاتبة وجاهزة للطبع والنشر) ومن هذه المسرحيات (عاشق من حضرموت: مسرحية شعرية مستوحاة من تراث القصص الشعبي الحضرمي ذات الأصول الواقعية وبطلها الشاعر الشعبي الحضرمي ابن زامل، الذي أحب فتاة حتى الموت في قالب مسرحي أشبه بقصص قيس وليلى وروميو وجوليت، ومن الواضح أنها مستوحاة من رحلته الأخيرة إلى حضرموت سنة ١٩٦٨م وقد وجدت في مذكراته تسجيل للخطوط العريضة لقصة الشاعر ابن زامل كما سمعها من الرواة).

وفي الحلقة الأخيرة كتب الدكتور محمد تحت عنوان جانبي (عاشق من حضرموت) جاء فيه: (تبقى خطوة هامة يجب الإعداد لها من الآن وهي نقل ما تبقى من تراث باكثير ومتعلقاته الشخصية إلى متحفه في سيئون بحضرموت وطنه الأصلي الذي أحبه وعاش طول حياته يحن إليه، فقد شاء الله أن يكون عن حضرموت أول ما كتب في حياته مسرحية (همام في بلاد الأحقاف) وأن يكون ما ختم به حياته مسرحية (عاشق من حضرموت) التي وجدناها مخطوطة في مكتبه والتي عبر على لسان بطلها الشاعر الشعبي ابن زامل، عن شوقه لوطنه وعن فرحته بالعودة إليه وحزنه على فراقه، فهو يقول لمحدثه: إن غيابه الطويل عن الوطن لم ينسه إياه:

والآن حدثني عن حضرموت   فـإن ذكراهـا تثـير الشـجن
لم أنـج ممـا خلـت أني نجـوت   ما زال في قلبي حنين الـوطن

تحس بآلام الشوق والحسرة في الأبيات التي ختم بها مسرحية (عاشق من حضرموت) التي يبدو أن فكرته اختمرت في ذهنه عندما كان يزورها في عام ١٩٦٨م بعد غياب دام أربعة وثلاثون عاماً يقول بعاطفة وحرقة:

سـقيا لأيـام لنـا سـلفت   في حضرموت صفت لنا ووفت

يـا ليتهـا بقيـت ومـا عصـفت   عبـث الزمـان بصـونها الحـالي

وا حسرة البالي .. وضيـاع آمالي

والملفت للنظر أن بطل المسرحية وهو هنا (ابن زامل) عاد إلى بلاده من خارجه مؤيداً لبعض الروايات التي وردت معنا سابقاً، ولكن كل الروايات تجمع بأن البطل عاد إلى مسقط رأسه بعد أن تم الفراغ من دفن حبيبته بعد موقف ميلودامي مأساوي وكان هو السبب الرئيس في ذلك، هكذا تصور لنا تلك الحكايات الشعبية، فالمرأة تتحمل نتائج ممارسات عادات موغلة في التخلف وهي لا رأي لها، وإذا هي رافضة لهذه

السوارح أي القوانين العرفية فعليها أن تموت ويظل البطل يعاود نشاطه الحياتي وكأن شيئاً لم يكن، ويتزوج ويستمر في حياته إلى أن يشيخ.

يقول بن زامل بياض الشيب في المفـرق يلـوح

يا شوفتاه ان عادنـا هاويـت أو أمسـيت نـوح

ـ وفي بعض الروايات (ياخيبتاه)

على الرغم من انتشار حكاية الشاعر ابن زامل والشعر الفني المرافق لها، حتماً أنه لا يمكن أن يذكر ابن زامل دون أن يقترن اسمه بقصته المأساوية إلا أن القصيدة هذه يتناولها الرواة ويرددونها في روايات مختلفة، ولم أر فيما قرأت من القصائد كهذه التي عرفت ألفاظها وغيرت وتعرضت للإضافات والحذف وغير ذلك بما لا مزيد عليه غير أنهم يتفقون في رواية البيتين الأولين:

يقول بن زامل مساك الخير يا مـير المـلاح

يا فائق الغزلان يا نعسان يا نجم الصباح

ولعلي أتذكر أحد الفنانين قبل أكثر من ثلاثين سنة وهو يغني أصوات لرقصة الزربادي الشهيرة في حضرموت، هذه الأغنية متفقاً والآخرين في مطلع القصيدة لكن لا يقدم إلا خمسة أو ستة أبيات منها.

وفي حقيقة الأمر لا أستطيع الجزم بصحة هذه الروايات أو تلك، ولهذا أعتمد على المنشور منها مع إضافة أي سقط أو تحريف يستحق الذكر.

إن شهرة هذه القصيدة / الأغنية جعلها محل اهتمام الفنانين هنا في حضرموت واليمن وفي بلدان الخليج والحجاز، ففي مملكة البحرين نجدها من أغنيات فنانها الكبير محمد بن فارس، وهي واردة في مخطوطتين جمعها بنفسه (انظر العماري، محمد بن فارس ج٢/ ق٢/ ٣٤١).

على أن أول من سجل هذه الأغنية في أسطوانة هو الفنان ضاحي الوليد (ت ١٩٤١م) كما غناها الفنان محمد زويد (يونيو ١٩٨٢م) وهي

مسجلة على أسطوانة ومن الأصوات المشهورة، وكلاهما من أهل البحرين.

وقد جاءت هذه الأغنية في ستة أبيات عند غنام الديكان في كتابه الإيقات الكويتية ج٢/ ٢٣٠، وجاءت في ثمانية عشر بيتاً عند مبارك عمرو العماري البحراني في كتابه (محمد بن فارس، ج٢ق٢/ ٢١٤) ولكنها عند الأستاذ سالم علي الجرو جاءت في كتابه (بلاد الأحقاف كنوز ورموز) في خمسة وعشرين بيتاً، لكن الثلاثة لم يرد عندهم بيتاً يردده الرواة الشعبيون هنا في حضرموت وهو:

أطرد قفا خلي وخلي أين أمسى أين راح

وإن سقطوا هذا البيت الدال على تتبع الشاعر لمحبوبته التي هاجرت قبيل زواجها كما هو معروف في الحكاية، لهو دليل قاطع على أن هناك أبيات أكبر مما هو عليه عند الأديب الجرو، إضافة إلى ما ورد عند العماري قول الشاعر:

ما حلت عن بابك ولو دونك سيوف أو رماح

ألقيتك الليلة بهذا العــرس ما بـين الوشـــاح

ولعله مكمل للحكاية ويؤكدها وأنه وصل إلى موقع محبوبته ليلة زفافها كما تقول الحكاية عند بعض الرواة.

غير أن الجرو أثبت بيتاً مهماً ذكر فيه الشاعر أن اسمه (علي)

ارحم (علي) يا عيطلي خل القواسة والمزاح

ولو عقدنا مقارنة بين الروايات الثلاث لرأينا العجب:

عند الدبكان : لأجلك نويت البعد لا والله ونا قلبي سماح

عند العماري : لأجلك نويت الفوت لا والله فلا قلبي سماح

عند الجرو : لأجلك نويت العزم والله ما على ايدها سماح

وفي بيتين أخرين يرد الآتي:

عند العماري:

لما سمعت الصوت من بيت الظليمي اليوم صاح

الصوت قبل الفوت عند الموت ذا قلبي استراح

وعند الجرو:

يعجبك في بيت الظليمي لا نغم بالصوت ناح

أصوات بعد أصوات فيها الموت ما قط استراح

هكذا تأتي روايات هذه القصيدة، والأغنية بأشكال متعددة وروايات مختلفة، وأعتقد أن سبب ذلك هو عدم كتابة القصيدة من لسان الشاعر بعد أن يلقيها مباشرة أو في وقت مقارب لها وإنما الاعتماد على الروايات فهذا الموجود وقد قيل عن الروايات الكثير.

وأن العماري يتفرد بذكر بيت تاريخي مهم وهو قول الشاعر:

أرخيت أنا (عودي) وشديت المطية في البطاح

وهو بيت تاريخي من وجهة نظري، لأنه ينفي رواية من ذكر لي قائلاً: (إن الشاعر ابن زامل كان ينشد أشعاره الغزلية على عزف الربابة) ثانياً وهو الأهم حيث إن هذا البيت بجانب آخر له يثبت لنا وللجميع من أن آلة العود الوترية كانت معروفة في حضرموت قبل قرنين على أقل تقدير لما جاء ذكره في بعض الدراسات والأبحاث اللاتي سبق أن نشرت.

وكنت أرى أن أقدم أبياتاً من هذه القصيدة هنا ولكن رأيت من الأفضل أن أكتبها في الملحق الخاص بقصائد الشاعر في القسم الثاني من هذا الكتاب لكن هذه مطلعها:

يقـول بـن زامـل مسـاك الخـير يـا مـير المـلاح

يا فـائق الغـزلان يـا نعسـان يـا نجـم الصـباح

يا مشفي المتعوب يا خرعوب يا نـوب اللحـاح

سلبت عقلي هشت عقلي يا مترف بالمساح ..الخ

وسوف ترد معنا كاملة كما أظن أو هي أطول أبيات وجدتها لهذه القصيدة عند سالم علي عبد الله الجرو ضمن القسم الثاني من هذا الكتاب منقولة من كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز).

وهناك قصيدة أخرى لابن زامل نشرها الأستاذ مبارك عمرو العماري في كتابه المذكور سابقاً، وهي قصيدة مغناة فهي من أغنيات الفنان البحريني محمد بن فارس وهي مدونة في مخطوطتين جمعهما بنفسه

ولا أدري إن كان قد سجلها بصوته أم أنه ترك الأمر إلى تلميذه الفنان البحراني محمد زويد (توفي ٥/٦/١٩٨٢م) الذي قيل إنه أول من سجلها على (صوت شحري) أي الصوت المنسوب لمدينة الشحر، وسوف ترد معنا كاملة أو ما استطعنا جمعه منها في القسم الخاص بقصائد الشاعر في خاتمة الكتاب هذا.

الله يـا ربـاه يـا غوثـاه يـا منشـي الرعـود

يـا الـلي خلقـت آدم وسـكنته بجنـات الخلـود

واغـواه أبـو مـرة خـرج آدم مـن الجنـة طـرود

يقول بـن زامـل حلمـت الليـل والعـالم رقـود

إن الحبيب أقبـل وجبّالي بحبه عنـبرود ... إلخ

القصيدة سوف ترد في قسم ديوان الشاعر.

ولدينا قصيدتان للشاعر ابن زامل ونعتقد أنه كتبهما في آخر حياته أو عندما رأى إمارات الكبر تظهر عليه، ففيهما الحسرة والندم على ما

فرط في أيام الشباب ويلوم نفسه والشيطان على إغوائه في ارتكاب المعاصي والموبقات وكل فعل ذميم، وفيهما من الاستياء الشيء الكثير والأولى نشرها الأستاذ سالم عبد الله الجرو في كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز) ص١٦٥ ومنها قوله:

يقول بن زامل مضـــى دهـري ونـا لاهـي مقـيم
بـــالغي والتفـــريط والميلـــة إلى الفعـــل الأثـــيم
والقلب في غفلة فكيف ألقي بذا القلـب الغشـيم
تيـاه في دنيـاه وفي الأخـرى قضـــى رأيـه عـديم
يفعل خوارق واجدة والنفس تبعه للرجيم .. إلخ

وسترد في قسم ديوان الشاعر وهي من ٢٥ بيتاً.

أما القصيدة الثانية فلم ينشرها أحد وهي في رواية شعبية أصح وأفضل ما وجدت في أوراق الشاعر سعيد حاج باطويح الذي أطلعني عليها في مارس عام ١٩٨٤م، ونقلت العديد من القصائد الشعبية ومنها

قصيدة الشاعر ابن زامل. وإذا كانت القصيدة السابقة تنبئ عن نشاط الشاعر الاجتماعي فإن الحالية تنبئ عن نشاطه الاجتماعي والفني في شبابه وهي صورة لما عليه الوضع الاجتماعي والثقافي والفني في زمنه، والشعر والغناء وآلاته الموسيقية والرقص وأنواعه، ووفرة الغذاء في الأسواق وتداول الدراهم في أيديهم قال الشاعر ابن زامل:

يقـول بـن زامـل بيـاض الشـيب في المفـرق يلـوح
يـا شـوقتاه إن عادنـا هاويـت والا مسـيت نـوح
أو عادنـا هاويـت حلـوات المباسـم والمسـوح
حلـو المباسـم كـاملات الوصـف غـزلان السـفوح
لا نحت بالمغنى من المبنى خذت الأعظم نضوح ... إلخ

وهي واردة في القسم الخاص بديوان الشاعر.

إن كل قصائد الشاعر ابن زامل التي مرت معنا ذات وزن عروضي واحد وهو المعروف عند العامة باسم (وزن المثمون)، وهو وزن شائع

لدى كل المتذوقين والراقصين والمغنيين والشعراء لرقصة (الشواني)، وهو السائد اليوم مع أوزان أخريات لكنه المفضل، حيث يبدأ به المتساجلون من الشعراء ارتجالاً في حلبات (رقصة الشواني) ثم يرقص عليه على الألحان المختلفة القديمة والمتجددة فيها يعرف (بأصوات الشواني) الذي يمارس إلى اليوم في أغلب مدن حضرموت بالجمهورية اليمنية.

فهل يعني هذا أن الشاعر ابن زامل لم يقل شعراً إلا على هذا الوزن؟

ومن المؤسف له ألا نجد فيما بين أيدينا إلا هذه النماذج من القصائد الكاملة أو شبه الكاملة، لكن لدينا مطلعان من قصيدتين للشاعر ابن زامل وردا عند أستاذنا المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه الميزان:

١) ذا لا معنا على وعل القرى مفتح ولعاد ما اليوم ميلة من كبير القوف.

(ص١٢٥).

٢) والبيت الثاني:

هاموا في الأرض من جور البلاء ذي عم   ولا انتكف من بلاهم كان من باطل

(ص١٣١).

وهما من وزن معروف لدى أهل رقصة الشواني ويعرف عندهم بالمربوع ووزنه العروضي:

مستفعلات مفاعيل مفاعيل

وهو وزن مشهور وجميل ظل يمارس إلى اليوم، وقد نظم عليه الشاعر أبو بكر المحضار عمله المسرحي الشعري الذي عرف تجاوزاً بأبريت (بنت القبائل):

بنت القبائل عزيزة ما تدني   لإنسان قروي ينزل مستواها

الوضع السياسي والثقافي في عصر الشاعر:

آراء الشاعر في تلك الأوضاع:

أعتقد أن النشاط الثقافي الأدبي والفني الذي شهده القرن الثاني عشر الهجري، كان من تأثير فترة الازدهار والرقي في القرن العاشر الهجري في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الذي يجب أن تفرد له دراسة خاصة لانعدام مراجعها الوفيرة.

صحيح أن في القرن الثاني عشر كما يقول الأديب الشيخ عبدالقادر محمد الصبان: (كانت روح التأليف والتجديد والبحث قد نقصت شعلتها، وفوق هذا بقي الرافد الأول رافد القرن العاشر يسقي كثيراً من الطالبين للمعرفة) (الصبان الحركة الأدبية في حضرموت مكتب وزارة الثقافة بحضرموت ط١ ٢٠٠٠ ص٢١٥).

إن الانفلات الأمني والتخبط السياسي وتضارب رجال الحكم على كراسي الإمارة وخروج من آنس فيه القوة عن طاعة الدولة، كان السائد

في حكم الكثيري حتى النصف الثاني عشر الهجري (ثم ازداد تخلخلاً بعد أن دخل على طبيعة الحكم الكثيري عنصر وافد تمثل في قوة يافع القادمة من جبل يافع) (بامطرف، في سبيل الحكم، دار الهمداني عدن ط٢ ١٩٨٣ ص١٢).

وفي هذا الوضع السيء انقسم الناس إلى أقسام فرضها عليهم الوضع القائم وبقيت القبائل حاملة السلاح محافظة على وضعها القبلي أفراداً وجماعات ومنهم الشاعر علي بن زامل، وتوجه البعض من سكان المدن والقرى إلى الانخراط في سلك التصوف، والقسم الثالث وهم الأغلبية رأوا أن الهجرة إلى أرض الله الواسعة خير وأبقى ومنهم الشاعر أبو ريا وهو من أهل بلدة (بور) أيضاً الذي توفي في أحد المهاجر مجهولاً، وهو الذي قال: (يقول أبو ريا على حضرموت * لولب من الرحمن مفروت).

إننا نشم رائحة أو روائح النصر من خلال أدبهم العامي وممثلهم في بحثنا هذا الشاعر ابن زامل الذي يتمتع بالروح القبلية، فما البندقية والسلاح الأبيض لصيق حياته أنى ذهب، ويكون بجانبه ليلاً وفي ذلك يقول:

وقمت من نومي ونا مرعوب وخلق الله رقود

دورت ماعندي سوى البندق معلق في العمود

لما صحيت الصبح شديت المطية والقعود

وخرجت دور له ونا هايم كما بعض الأسود ...إلخ

ولقد انتقد الشاعر هذا الوضع المزري الذي تمر به المنطقة ويظهر أن هذا النقد كان نتائج انتشار موجة التصوف بين الناس وعلاقته الشخصية ببعض المصلحين وبعض المتصوفة ولقد جاء عنده متأخراً:

يقول بن زامل جميع الناس ما حد مستريح

يعالجون الوقت والمحنة وباطل مستبيح

إلى قوله:

لكن حد صابر لما صابه وحد ضيق يصيح

واعتقد أن الصابرين هم المساكين وقد انتقد حتى رجال الدين والمتصوفة:

ولو تشوف الصوم والطاعة يسفحون الرضيح

ويظهر أنه يئس من الجميع حتى من رجال الدولة الكثيرية وهو منهم إلى قوله:

كم ذا البلاء والجور في وادي ابن رشد مرجحن

وقد أتينا على أكثر أبيات القصيدة، ورغم ذلك فقد رفض الحل الرابع وهو الهجرة وترك حضرموت تنعي أبناءها، لقد فكر في الأمر ثم رجع إلى رشده وقال:

وإن جيت باتقفي وتـترك الـوطن وانتـه فسـيح
فكـرت إن السلسـلة والقيـد تـرزح بـه رزيـح
أهلك ومالك والوطن محبوب لو كيلـة شـحيح
رض وانطرح للحول والقدرة وكن تحته طريح
وثـق بحبـل الله واحـذر مـن عـلى بابـه تـزيح
إن كنت به واثـق فـلا تخشـى عـلى سرك يبـيح

ورغم أنه يعلم أمر الهجرة وأن أهم أسبابها الوضع السائد قال:

هاموا في الأرض من جور البلاء ذي عم   ولا انتكف من بلاهم كان من باطل

وفي قصائده التي أوردناها في بحثنا هذا فهو صور الواقع المملوء بالفتن وانتشار الأمراض الاجتماعية، كالكذب والزور والبهتان والنميمة والباطل الذي يتمثل في السرقة وقطع السبل وانعدام الأمن والقتل وغير ذلك فقال:

رضعوا بخلق العيب غذوا به كما غذي اللبن

ثم يتضح يأسه تماماً من الإصلاح ومن دور المصلحين:

راحوا رجال السد والتسديد والفعل المليح
وخلفوا في الوقت بقية ما يهابون القبيح

وقد تحقق حدسه وتوقعاته، فلفظت الدولة الكثيرية الثانية أنفاسها الأخيرة قبل عقد من وفاة الشاعر ابن زامل.

هذه كانت ملاحظات مركزة من موقف الشاعر من بعض المسائل المهمة في حياته، وإحدى قصائد الشاعر تبين لنا صورة رسمها الشاعر لفترة شبابه هي تقريباً الربع الأول من القرن الثاني عشر، نجد فيها الحياة أكثر سهولة مما هي عليه في شيخوخته ربما أولاً للسيولة النقدية بين الناس مما يجعلهم يختارون الأجود والأفضل من الطعام كالبر الهلبة وهو أجود أنواع القمح الذي يزرع محلياً، والأرز المعروف بالزيرة أفضل أصنافه في زمنه و(أقراص) الجبوح وهو أحسن وأجود أنواع العسل مع (اللحوح) وهو مقلي مسهى من عجينة الدقيق على آنية المحماس.

إضافة إلى (البن العديني) الصافي من البن اليمني المعروف بجودته، ولا ينافسه البن المستورد له من إفريقيا الحبش والسواحل وحتى البرازيلي منه.

أما الأقمشة فذكر لنا أنواع مستوردة من الهند (كالمسوح) وهو من أقمشة ملابس النساء، وكذلك الأقمشة الواردة من مدينة (بونا) الهندية

التي يستوردها ابن صلاح من الهند والتي يفضلها على المنسوجات المحلية الأقل جودة والأرخص ثمناً.

إن هذه الصورة تذكرنا بالمثل الشهير (لا امتلت الكرش الجوارح تنتعش)، فبالمقابل لهذا الحال الطيب أن نرى وسائل الفرح وروح التسلية لقضاء أوقات الفراغ ومشاركة الآخرين أفراحهم ووجدانياتهم يتمثل بوضوح تام في الأشعار والغناء والرقص الذي يدور بين الشباب في ليالي الشتاء وغيرها من ليالي السنة، وكلما سنحت الفرص تستغل لإدخال المرح والسرور على أنفسهم، ولربما يحاول الشباب أن لا يلقوا بالاً للمنغصات والمشاكل الحياتية ومسائل الحروب والأمن والثارات بين القبائل وفخائذ القبيلة الواحدة، وكذلك بين الأسر والعائلات أيضاً فيذهبون لقضاء أوقات من المرح والتسالي التي لا بد منها لتناسي كوابيس القلاقل وظلم السلطات والمتنفذين وباطل من يرى من نفسه القوة وحملة السلاح المبطلين منهم.

وتبين القصيدة صورة مرسومة بدقة لحال الشباب وفرحهم في تتبع الجميلات والفاتنات المشاركات في الرقصات الشعبية المختلطة والتقرب والتودد لهن، فغاية الذكر استرضاء الأنثى في كل الأزمان ولهذا فهم مشغولون بهذه الأمور، حيث ينفقون كل ما بأيديهم لشراء الغذاء الجيد ولبس القماش الأجود، وأحياناً لا يلتفتون إليها عندما تبلغ مراحل العشق أقصاها، قال الشاعر ابن زامل:

القوت ما يطرش على الخاطر يجي وإلا يـروح

لو كان (زيره) ما تهـق الـنفس لـه وألا لحـوح

وإلا عديني بن صافي خلطة أقـراص الجبـوح

على أنهم يفضلون ليل الشتاء على الصيف لطوله ولوجود الفرص السانحة فيه للغناء والرقص :

الصيف ما نهواه نهوى ألا الشتاء لاجل السـنوح

من ميد طـول الليـل للعشـاق سـلوة كـل روح

ولقد ظهر عدد من الأدباء والشعراء والملحنين والمغنيين والمطربين، شاركوا في نقد الأوضاع رغبة في الإصلاح وإدخال السرور والمرح بواسطة القصائد وتلحينها وغنائها وإنشادها في السماع عند الصوفية أو في الغناء الشعبي والغناء الطربي وبرز منهم:

ـ عبدالله بن علوي الحداد (ت١١٣٢) شاعر صوفي ومصلح من تريم.

ـ ابنه أخو علوي زين (ت١١٥٧) شاعر غزلي ملحن ومطرب على العود.

ـ عمر بن عبد الرحمن البار (ت١١٥٨) شاعر صوفي داعية من دوعن.

ـ عبدالله بن جعفر مدهر (ت١١٦٠) شاعر غنائي من أهل الشحر.

ـ علي بن حسن العطاس (ت١١٧٢) شاعر ناثر مصلح داعية من دوعن.

ـ الشاعر أبو ريا (ت نحو ١١٥٠) من شعراء الحكمة فلاح من بور.

ـ علي بن أحمد بن زامل (ت نحو ١١٦١) شاعر غنائي مطرب على العود من بور.

ـ عبدالله سعيد بازياد (ت نحو١١٧٥) مطرب على العود من هينن.

ويستطيع الدارس والقارئ والراغب لمعرفة المزيد من حياة أي أحد من هؤلاء ولنشاطه الأدبي والفني شعراً أو نثراً أن يستشف النشاط الفني في زمنه، من غناء وطرب وإنشاد وسماع صوفي والرقص الشعبي بأنواعه، وما يرافقه من شعر وألحان موسيقية بالآلات أو بدونها.

وقد تجاوزنا الشعراء والغناء في القرنين العاشر والحادي عشر وركزنا على الأشخاص الذين عاشوا زمن الشاعر ابن زامل وهو ما نسطر هذه المقالة لأجله.

الغناء والطرب عند الشاعر ابن زامل:

ولنبحث عن مختلف الأنشطة الفنية عند الشاعر علي أحمد بن زامل من خلال قصائده المجموعة التي بين أيدينا، رغم أننا متأكدون أن كثيراً من قصائده لم تقع في أيدينا.

وإذا كان اسم الشاعر ابن زامل يردد ذكره مع ما يرتبط بقصته الغرامية، فإنه أيضاً يقترن لدى الأوساط الحضرمية بنوع من الغناء

يسمونه (صوت الزام)، وقد أشار إلى ذلك الأديب سالم علي عبدالله الجرو في كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز) ص١٥٠، والزام كلمة هندية الأصل وتعني الربع من كل شيء، زام من النهار أي ربعه وزامان من النهار أي نصفه، وتعني عند أرباب السفن وحدة المسافة التي تقطعها السفينة الشراعية خلال ثلاث ساعات (بامطرف، الرفيق النافع ص٣٣)، وفيها ينظم البحارة أنفسهم نوبات كل نوبة تعمل زام، وانتقلت اللفظة عبر الجنود إلى الحراس (فصوت الزام) يعني (صوت الحراسة) والصوت الذي يغنيه أو ينشده الحارس ليلاً، وأعتقد أنه لم يبق لهذا اللون من الغناء وجود على الأقل عندي، وربما يحتفظ به البعض في القرى والوديان أو ما يقرب منه أو يشبهه إلا إذا صاحبه شيء من التطور، فالملاحظ أن حراس سجن العمودي حاكم إحدى المدن القريبة من الخريبة يغنون (صوت الدان) أثناء حراستهم للسجناء، انظر كتاب العطاس (تاج الأعراس...).

وقد ذكر الصوت وفن الصوت الشاعر ابن زامل عندما قال:

لما سمعت الصوت من بيت الظليمي اليوم صاح

وإذا كانت اللفظة هنا غير دقيقة فقد قال في بيت آخر:

إلا ونا أسمع (صوت) في روضة (بمرواس وعود)

وفي هذا البيت الشعري يذكر آلة المرواس الآلة الإيقاعية الحضرمية والشهيرة جداً، وهو من أوائل الشعراء الذين ذكروا هذه الآلة في أشعارهم بناء على ما وقع في أيدينا من قصائد الشعر العامي والفصيح.

ولم يستطع كل أهل الخليج شعراء ومؤرخين وكتاب وصحفيين أن يقدموا تبريراً وصفياً لفظياً (للمرواس) الآلة الإيقاعية الحضرمية التي أرغم الفنانون الخليجيون استعمالها مع غناء الصوت الذي نقلوه من الفن الحضرمي، وأخذ البعض منهم على أن هذه الآلة خليجية الأصل والمنشأ وأنها تطوير لآلة إيقاعية هندية، وهم هنا لا يقولون الحقيقة في

هذا، ومن المؤسف أن يشاركهم بعض الجنوبيون هذه المغالطة لكننا سألنا الفنانة باشة عبدالنعيم فرج الله النوبي أطال الله عمرها (توفيت بعد ذلك ١٤/ ١/ ٢٠٢١م) وهي خالتي شقيقة الفنانة غزال عبد النعيم الرئيسة في فرقة نعيمات النسائية للأفراح وكانت ناقرة على المرواس، وهي مرضعتي وقالت أختها غزال على المرواس يعني أنها تترأس الفرقة وأختها باشة على المرواس المخامع أي المخالف لأختها لإكمال إيقاع الرقصة. إن قولها يؤكد لنا ولأهل الخليج عامة أن فعلها يعني على رئاسة الفرقة فأطلق على الآلة مرواس ولا شيء غير هذا.

وكنت كالآخرين لا أعلم عن أمر هذه التسمية شيئاً، وبلغ أن قال أحد الرواة أنه لفظ إفريقي ولم يكن هذا إلا لفظ من كيسه لكني لاحظت أن الفنان الشعبي الكبير سعيد عبد النعيم خميس النوبي لا يستعمل هذه اللفظة وكان يطلق على هذه الآلة (القصعة) والجميع (قصاع) ومع مداومتي لمرافقته لم يغير هذه التسمية، واستمر هذا الأمر

طويلاً حتى تمكنت من شراء كتاب الأغاني للأصفهاني بأجزائه الثلاثين الذي صدر بإشراف وتحقيق إبراهيم الأبياري عن مطابع دار الشعب عام ١٩٧٩م، وفيه وجدت بغيتي من صحيح تسمية الآلة هو القصعة وهي آلة فرعية عند العرب وعرفت عندها أن هذه التسمية لم تأتي عند الفنان سعيد من فراغ وأنه ورثها من والده الفنان عبدالنعيم خميس النوبي عازف القنبوس في فرقة عبدالله محمد باحسن.

وذكر الشاعر ابن زامل هنا وفي هذا البيت الشعري آلة العود هذه الآلة الوترية وليس هنا فحسب بل إنه ذكرها في بيت آخر من قصيدة أخرى، وأنه عازف على هذه الآلة ومغنياً على أوتارها قال:

لما سمعت الصوت من بيت الظليمي اليوم صاح
أرخيت أنا (عـودي) وشـديت المطيـة في البطـاح

أي أنه أرخى أوتار عوده وهذا كناية عن التوقف عن الغناء والعزف على آلته العود، وهنا أكثر من بيت شعر يفيد أنه كان مغنياً على العود ومنها قوله:

ياشوفتاه إن عادنا هاويت والا مسيت نوح

أو قوله:

لا نحت بالمغنى من المبنى غدت لعظم نضوح

ونلاحظ أن الشاعر ذكر آلة العود مرتين في قصائده دون أن يسميه كما هو المشهور محلياً باسم آلة (القنبوس)، بينما معاصره الداعية علي بن حسن العطاس المتوفي (١١٧٢هـ) يذكر هذه الآلة الوترية باسمها الشائع محلياً القنبوس في شعره ونثره، وذكره بهذه التسمية الشائعة في حضرموت، ذكره على سبيل المثال الشاعر يحيى عمر اليافعي وغيره.

قال علي بن حسن العطاس (ت١١٧٢هـ) من قصيدة في ديوانه المخطوط:

الليــل يابــا لليــل خــل النعــاس   الليــل يابــا لليــل خــل النعــاس
وحــرك القنبــوس فيــه اقتبــاس   للنور من مغمور الإحســاس ..إلـخ

إن لفظة (ناح) تعني سجع وغنى والنوح هو الغناء وناح فلان بالصوت أي غنى، ذكر أيضاً الآلة الإيقاعية (الطبل) وهو ما يعرف اليوم عندنا بتسمية (الهاجر) مع ذكره الزفين وهو نوع من الرقص الراقي المرافق لنوع من الغناء على الآلات الموسيقية، وأظن أنه الموجود حالياً والمعروف بمسميات منها الزربادي وبطيق وغيرها، أطلق عليها اسم العازفين المهرة على آلته، وتنفرد الأوساط الشعبية في الشحر بتسميته (شرح الرجال) وغيرها وربما دخل عليه بعض التطور نظنه من إضافات الفنانين المطربين على تلك الآلات.

قال الشاعر ابن زامل:

سكره مع بطرة ودولة مســـرفة والطبـل حـن
وإذا رقص واحد طمر لاخر على الرقصة زفن

ومع أننا لا نفضل مناسبة القصيدة، فالذي يهمنا هنا ما ورد فيها من ألفاظ دالة على وجود الفنون المختلفة الممارسة في بيئته، ونلاحظ هنا أن لفظة (رقص) لا تعني التوقيع الحركي الجسدي الذي تدل عليه لفظة (زفن)، وإنما تعني التصفيق بالأيدي فالرقص هنا هو التصفيق التوقيعي الأساسي والزخرفي المصاحب للغناء.

أما لفظة (طمر) فهي تعني قفز إلى حلبة الرقص ليؤدي (الزفن)، وللنساء أيضاً نوع من (الزفين) وفيه تلبس المرأة بعض الحلي الفضية كالحجل وهو الخلخال وأخرى على الزنود، وعلى الحوقين قال ابن زامل:

إلا ونا اسمع (صوت) في روضـة بمـرواس وعـود
لما تبعت الصوت سـمعت الخـل في وسـط الجنـود
عرفـت (خلخالـه) ورنـات (الهياكـل) و(الزنـود)

لقد كانت خليلته تؤدي رقصاً وهي بكامل عدتها وهذه الحلي تعتبر من الآلات الموسيقية وتعرف عند الموسيقيين بالشخاشيخ والشخاليل ولقد تكررت لفظة (الشرح ـ الشروح) في شعره وهو أنواع أخرى من الرقصات الشعبية والغناء، قال:

الله يحيي عصــرنا لي مـر وأيـام الشــروح

رعى الله أيام الشبوبة والزوامل والصدوح

واللفظة الشروح ومفردها الشرح لفظة محلية تدل على أنواع مختلفة من الرقصات الشعبية أو هو الرقص بعينه وهي مستعملة إلى يومنا هذا، وترد في أدبياتنا الشعبية منذ القرن العاشر وربما قبله وحتى اليوم، قال الشاعر حسين أبو بكر المحضار في عمله المسرحي (عادات الزواج) وذلك في الاحتفال بعودة العروسة في أول زيارة لبيت أهلها ليوم واحد ثم ترجع إلى بيت العريس (الكلان) مساء:

ثــم انقلوهــا أهلهــا لقــوا غــذاء مــن أجلهــا

(وشرح) أو مولــد لكــل حســب مــا راده

وتعـــــود لا دار الكـــــلان ... إلـــــخ

وقال الشاعر عبيد عمر باجراد (ت ١٤/٦/٢٠١٢م) ملحن ألحان (دان رقصة الحفة). إحدى رقصات الهبيش، قال بعد أحداث ١٣ يناير اليوم المشؤوم:

ما درينا هو شرحكم (قطني) وألا شرحكم (غيّة) * ما شورع زفينه
عادها تزفن * ولي في الشنف يحسبون الليل ليلين

وهناك رواية أخرى لقوله:

شرحكم غيّة * وقطني لي ما يعرفه ما شورع زفينه
عادها ترقص * ولي في الشنف يحسبون الليل ليلين

وأعتقد أن اللفظة تعني ما يشرح به الصدر أو يشرح الخاطر عند كل من الراقصين والمغنيين والمشاهدين للرقص وإدخال حالة من الفرح والسرور.

أما الزوامل فمفردها (زامل) وهي مسيرة رجال القبائل وهم يحملون السلاح في المناسبات ويترنمون بالأهازيج وأبيات الشعر

الحماسية وأمجاد القبيلة وتاريخها وغير ذلك، وهو على أنواع تتفرد كل قبيلة بشكل ولحن خاص ومميز، وليس لهذا الاسم أية علاقة باسم الشاعر وقبيلته.

أما الصدوح فهي من الفعل (صدح) والمراد بأصوات الغناء والرائعة والمختلفة والشاعر بهذين البيتين أجمل ولم يخص بل شمل العديد من الرقصات والزوامل والغناء المتنوع.

ويتهيأ لي أن عبارته (لعظم نضوح) في بيت الشاعر:

لا نحت بالمغنى من المبنى غدت (لعظم نضوح)

وهي في جملتها الأعظم نضوح، تفيد بأن الشاعر ابن زامل إذا غنى أشعاره أو أشعار غيره أخذت عظامه وعظام غيره من الراقصين تنضح بما حباها الله من قدرة على التعبير الحركي أي الرقص، وهو تعبير جسدي تقوم به الأعضاء من عظام وعضلات وكل وعاء ينضح بما فيه، هذا إذا جاز لنا أن تفسير تلك العبارة بهذا المعنى، أما إذا لم نحسن

التفسير فإن فيما تقدم من الألفاظ جاءت في قصائده دالة بها لا يقبل الشك عن مختلف الفنون التي كانت تمارس في زمنه فإني أكتفي بها.

مرحلتي الشباب والشيخوخة:

إن قصيدتي الشاعر ابن زامل اللتين نظن أنه كتبهما بعد أن انقضت مرحلة شباب الشاعر ابن زامل وربما تكون في آخر حياته وهما:

يقول بن زامل بياض الشيب في المفرق يلـوح

أو قوله:

يقـــول بن زامل مضى دهـــري ونا لاهي مقيم

هاتان القصيدتان تقدمان صورة لما كان عليه الشباب وهو كان منهم، شباب تائه يجري كل الوقت بحثاً عن ملذاته يلهو ويعربد وكل همه اقتناص الفرص كلما سنحت، كانوا يسرون ليلاً للمشاركة في الرقصات مع حلوات المباسم مضحين بكل شيء كالنوم والغذاء والمال،

ويرتكبون أحياناً الأفعال الأثيمة وترك الصلوات وهم في غفلة يتبعون هوى النفس والشيطان الرجيم وغير هذا كما جاء في اعتراف الشاعر نفسه في قصيدته، إلا أنه يثيب إلى رشده ويوجه اللوم لنفسه على ما اقترف في الماضي ويتوب وينصح غيره من سماعي شعره وقراءته فيما بعد.

وفي رأيي أن هذا الانقلاب في حياته لم يأت إلا نتيجة من مصاحبة بعض العلماء والفقهاء والمتصوفة وخاصة الدعاة إلى دين الله، ويتضح ذلك مما ورد في قصائده كاستهلالاته وختام قصائده، وكالزهد في الدنيا ومحاربة الأمراض الاجتماعية التي دعا الدين الإسلامي للابتعاد عنها، والعمل بالصدق والأمانة والتوجه إلى الله مع التوبة الصادقة.

ويذكر ابن عبيد الله في إدام القوت قائلاً: (إن عبد الله علوي بن أحمد العيدروس منصب بور المتوفى بها سنة ١١٤٥هـ (١٧٣٢م) كان فاضلاً جليل القدر له اتصال بالصوفي الحداد، وكان يذهب إليه هو

وخادمه الشاعر ابن زامل وهو الشاعر المطبوع، وله فيه وفي الحداد غرر المدائح)، وقد ذكر العلامة علي بن حسن العطاس صاحب المشهد في كتابه (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) ـ وهو لا زال مخطوطاً ـ (أنه زار عبدالله بن علوي العيدروس، صاحب بور وكانت وفاته ليلة الأحد أول ليلة في شهر صفر سنة ١١٥٤هـ لما زرناه وظلينا وأمسينا بمغناه وأردنا تشريف الكتاب بذكره وتشييد مبناه، ثم سرنا من عنده إلى تريم من طريق المعجاز، وقد أرسل معنا قبائل تلك الجهة لأن طريق المعجاز مخافة).

ونلاحظ الاختلاف في تاريخ وفاة الرجل، فهي عند العطاس غير التي عند ابن عبيد الله السقاف لمعاصرته له وتوفي العطاس سنة ١١٧٢هـ.

على أن عبارة (وأمسينا بمغناه) تفيد بأن عيدروس بور هذا محباً للغناء ولا نستغرب منه ذلك فهو صديق الشاعر الملحن والمطرب ابن

زامل، ثم إن علي بن حسن العطاس مصدر مهم للغناء والمغنون والرقص والموسيقى والآلات الموسيقية والعازفين عليها.

قال علي بن حسن:

ما حب (صوت الغنى) و(الشرح) والبلبلة

إلا لعينيه ليــوم المـــــدح يستـــاهـــــل

(تاج الأعراس ج٢/ ٣٢١).

والحداد هو عبد الله بن علوي الحداد المولود بمدينة تريم عام ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م) هو داعية مرشد مصلح وأحد كبار صوفية حضرموت وله عدد من المصنفات وديوان شعر (الدر المنظوم) رغم أنه أصيب بالعمى صغيراً وتوفي في تريم، سنة ١١٣٢هـ (١٧٢٠م) أفرد له تلميذه محمد زين بن سميط كتابا بعنوان (غاية القصد والمراد في مناقب القطب حداد) وترجمته في أكثر من كتاب ككتاب الشعراء الحضرميين للسقاف ج٢/ ٢٤، وكتاب أدوار التاريخ الحضرمي ج٢/ ١١٠ وعقد

اليواقيت الجوهرية لعيدروس الحبشي ج٢/ ٦٨، وغيرها من الكتب (انظر الموجز من ترجمته في كتابنا معجم شعراء العامية الحضارم) ص١٨٤.

إن الاتصال بالحداد والعيدروس وغيرهما وممن يدور في فلكهم والذين يلتقي بهم ويجالسهم مع كبر سنه وما وصلت إليه البلد من أحوال سيئة كل ذلك ترك الأثر عليه كما نعتقد.

ونحن لم نقف على قصائد المديح التي كتبها الشاعر ابن زامل في الشيخ الحداد التريمي، ولا المنصب العيدروس البوري، وخاصة تلك التي وصفها ابن عبيد الله بقوله: المدائح الطنانة، وتركنا في حيرة من هذه (الطنانة) لأنه لم يقدم أي أبيات من هذه أو تلك وما علينا إلا تصديقه، لكن ونحن في سبيل العودة لإصدار هذا الكتاب وصلتني هدية الدكتور علي صالح الخلاقي مصورة من مخطوط المستشرق السويدي لندبرج وفي

هذا المخطوط قصيدة واحدة في الشيخ الحداد نورد مطلعها ونسجلها كاملة في قسم ديوان الشاعر ابن زامل، ومطلعها:

يقول بن زامل بدعت أبيـات في الشـيخ الكبـير
شيخ الجهة زيـن الخلائـق راعـي الوجـه النـوير

وقد علمنا بهذه وبغيرها أن الشاعر ابن زامل عاصر الشيخين وصادقهما، وفي لقاء عابر مع الدكتور الصديق العزيز جعفر بن عقيل أشار بأن ذاكرته تحتفظ بمعلومة تفيد بأن للشاعر علي أحمد بن زامل ديوان شعر ولم يهتدِ إلى مصدر المعلومة، وعندي أمل أن تكون هذه المعلومة صحيحة، ويكون الديوان محفوظاً هنا أو هناك.

إن عبارة الشاعر ابن عبيد الله في علاقات الشاعر ابن زامل بالعيدروس البوري والحداد التريمي التي وردت معنا هنا، وذلك في قوله: (إن لعبد الله بن علوي العيدروس منصب بلدة بور اتصال بالصوفي عبد الله الحداد التريمي وكان يذهب إليه هو وخادمه ابن زامل

وهو الشاعر المطبوع..) إدام القوت، وفي كتابه المخطوط (بضائع التابوت) يقول: (ابن زامل تابع للعيدروس)

إن ألفاظ كهذه لا تليق بهؤلاء الكتّاب والنسابة العلويين كقول ابن عبيد الله هنا في اتهام الشاعر ابن زامل بأنه تابع للعيدوس أي أنه أحد عبيده، أو أنه خادمه وهذا ليس عنده ولكنها سجية درج عليها بعض هؤلاء لاحتقار الآخرين والتقليل من قيمتهم ومكانتهم في مجتمعهم.

ولنضرب مثلاً في هذه الطرق التي يسلكها الكتّاب العلويون فقد ذكر ابن عبيد الله قائلا :(أما حالات الفرقة السياسية فقد كان آل كثير ينتسبون للشيخ عبد الله القديم بالخدمة لأن جدهم تربى به) انظر كتابه إدام القوت ص٦٣٤ تحقيق محمد أبو بكر باذيب.

ونرى أنهم ليسوا أخدام أحد ولكن يقدمون له الإجلال والاحترام والمحبة، وهي خدمة الأبوة ولهذا لم يكونوا من رتبة الأخدام أبداً

ومقابلها العبيد، إنها ألفاظ سيئة ولا تليق، فلم يقل أحد قبل علويي حضرموت إن المسلمين عبيد لذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفوق هذا فإن ابن عبيد الله يقول في كتابه المخطوط (بضائع التابوت): (ولا غرو أنه كان رأيه -أي رأي ابن زامل- للسلطان جعفر مثل رأي شيخه وشيخ متبوعه لعمر بن جعفر)، فهو يقول: إن ابن زامل تابع للعيدوس مع أنه ذكره مرتين قائلا (الشيخ ابن زامل)، وعلى أي حال فإن القول بأن الشيخ ابن زامل متعلق بالحبيب عبد الله بن علوي العيدورس وهو يكثر السكون معه عند الحبيب عبد الله بن علوي الحداد) لا يدل على أن ندرجه في رتبة الخدم من سلم طبقات المجتمع في حضرموت في تلك الفترة.

لقد سرت هذه المسألة عند كل العلويين في حضرموت وفي مهاجرهم في الهند وشرق آسيا، وقد اتضح وبان تعاملهم واعتقادهم بصدقها فجرت بينهم، وظهرت في تعاملهم وفي وثائقهم لفظة خادم

وتابع وإذا تزوج أحدهم من بقية عناصر حضرموت عدت زوجته جاريته وإذا أنجبت ذكراً عتقت وتدعى حينها (أم ولد) ويعامل الحضرمي من أية قبيلة كان عبداً ومملوكاً وكل ما يملكه لسيده أي لمالكه، وهذه المسألة غير خافية على أحد، وقد تمكنت من الحصول على ثلاث نسخ من كتاب (رشفة الصادي) لأبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب وفيها وجدت هذه الفقرة أنقلها كاملة: (نعتقد في أهل البيت أن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن جميع سيئاتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم) ص١٤١.

قال أحدهم: إنها فرصة لهم لعمل ما يشين ويرفضه الإسلام وإنها دعوة للإباحية المطلقة، ولهذا قال الشاعر حسين أبو بكر المحضار في إحدى قصائده الغنائية: (أنا تو دفر للجنة)، وقد أخذنا زمن غير يسير ونحن نفكر في قوله هذا حتى هدانا الله لقراءة كتاب ابن شهاب (رشفة الصادي من بخر فصائل بني النبي الهادي) وقل مثل هذا في الفواتح

التي يقولها بعض أهل الشحر في التوسعة التي تقام في الليلة الثالثة من الترحم على موتاهم.

والتوسعة هي دعوة إلى إنزال الرحمة على الميت، فقد ذكر لنا شيخ الرواة عوض سالم عبدن (ت ١٩٩٠م) أن أهل مدينة الشحر اعتادوا أن يدخلوا على من له صلة بالميت إلى بيته من أجل إدخال السرور عليه ومواساته في فقيده، ويصحب كل واحد منهم قليلا من حبات البن مربوطة بطرف راديه فيسكبه هناك ويجلس بقدر ما يسمح له وقته وينصرف وقد زار مثل هذه المآتم الداعية طاهر حسين بن طاهر العلوي، وحضر بعضها ووجد أن الحضور يتحدثون بكلام هامشي، ولكنهم أحيانا يتحدثون بعبارات لا يحسن بنا أن نذكرها في مقامنا هذا ومنها الانزلاق في الأحاديث الجنسية والأخبار السيئة، فاقترح عليهم قراءة القرآن وإهداء أجر القراءة للميت، ثم كتب لهم وصية تقرأ في ثالث ليلة من ليالي التوسعة الثلاث، وقد نشرها الأستاذ عادل حاج

باعكيم وجعلها باكورة نشر دار الأسعاء، لكنه اقتصر على نص الوصية فقط دون الفواتح التي تقال على أثر قراءة الوصية ومنها عند ذكر كبار العلويين القدماء يقول المعلم: (ويعلي درجاتهم في الجنة) فيؤمن عليه كل الحضور بقولهم (آمين) استجب يا الله، وعلى أي حال فإن هذه تخرج من مسألة أن لا يدخل أحد من اهل بيت النبي صلى الله عيه وسلم النار يوم القيامة.

قال أحدهم عندما سمع لفظة آمين من قبل الجميع، قال معلقاً عليها ذاكراً لنا حادثة، وهي أن مر يوماً أحد علماء الفلسفة مع صديق له فكان يحدثه في مسألة يتطلب الأمر معها إلى الانتباه، لكن الصديق لفت نظره ديكاً يصرخ من على جدار بالقرب منهما، فقال الصديق للفيلسوف: شف هذا الديك يصرخ وهو مغمض عينيه! فقال له الفيلسوف: إنه حافظ درسه ولا لزوم لمراجعة كتابه كيف يصرخ. عندها

أدرك الصديق أنه كأهل الشحر يقولون ذلك داسّين رؤوسهم في التراب، دون السؤال لماذا والقول وما تعنيه العبارة.

لقد بحثت طويلاً عن فتوى سالم بن عمر العطاس الإندونيسي التي نشرها مطبوعة في شهر محرم سنة ١٣٢٣هـ بإندونيسيا، ولكني رجعت من بحثي هذا خالي الوفاض، لكن إذا لم أجد صورة لتلك الفتوى فإن نصها منشور في بعض الكتب مثلاً في الجزء الثاني من تاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري وكتابه الآخر (تاريخ الإرشاد في إندونيسيا) الذي صدر في طبعته الأولى ١٩٩٢م عن جمعية الإرشاد الإسلامية ـ جاكرتا، وكذا في العدد (ج١/ مجلد٨) من مجلة (المنار) تحت رئاسة الشيخ محمد رشيد رضا، باب فتاوى المنار، ص٥٨٠ إجابة لسؤال (تزويج الشريفة غير الشريف): واعتبر الشيخ محمد رشيد رضا هذه الفتوى فتوة مقلوبة، فقد قارن بأن عدم لبس الإمام مالك الأحذية في المدينة قاس ذلك استنباطاً منه عدم إباحة افتراش البضعة النبوية

ووطئها، بمثل عدم لبس أحذية الإمام مالك بالمدينة ولهذا قال: ما هذا الفقه المقلوب؟

وليس علي أن أسترسل في ذكر تلك الفتوى ومن يريد الاستزادة فعليه أن يطلع على العدد برقمه إلكترونياً.

إن لفظة (خادمة) لا نستحسنها إطلاقاً من المؤلف ابن عبد الله ولا نراها تناسب الشاعر ابن زامل، إذ أن فيها شيئاً من التحقير لشخصيته، وكثير من المؤرخين والكتاب من اعتاد استخدامها ليدل على عظمة ومقام من يتحدث عنه، إنها لا تستقيم مع قولنا إنه ينتمي إلى قبيلة باجري وقد أتينا على ما اتصفت به، ثم كيف لنا أن نقول ذلك على أحد الشجعان وهو يحمي صديقه حاملاً بندقيته وفتيلها يقدح ناراً تحسباً لأي طارئ، ويجب أن لا يفوتنا قول الرواة عند حكايته الغرامية بعد ان خطب حبيبته ابن عمها، من سوف يجرأ لإخبار ابن زامل بالأمر ولخوفهم لجأوا إلى الكذب ودنسوا سمعة الحبيبة البريئة بالعار، ويدعم

رأينا الشيخ علي بن حسن العطاس في مخطوطة (سفينة البضائع) في سنة ٢٠٠٢م بعد أن زار العيدروس في بور توجه إلى تريم.

وهكذا انقضت حياة الشاعر ابن زامل لهواً ولعباً ونوحاً ورقصاً وغناء وطرباً، ثم قدم توبة ونصيحة رحم الله الجميع.

لقد أتحفنا الدكتور علي صالح الخلاقي بتقديم جزء من مخطوط المستشرق لندبرج، ومن حسن الحظ أن يكون بها عدد من قصائد ابن زامل وواحدة في الشيخ الحداد وسوف ننشرها في الجزء الخاص بديوان الشاعر ابن زامل.

ابن زامل شاعر ومغن على العود:

لا يكفي أن نقول إنه شاعر مستندين لرأي أغلب المؤرخين والأدباء وكتاب السير ولو أن هذه شهادات وتزكيات على دوره كشاعر معترف بفنه، ولذلك لابد من البحث عن ديوان الشاعر، أو مجموع قصائده وحتى القليل منها على أن هذا لا يدل على أننا ننكر ما جاء على

لسان الأدباء ومؤرخي الأدب والنقاد الذين ذكروا لنا بأن علي بن أحمد بن زامل باجري أحد شعراء العامية الحضارم في القرن الثاني عشر الهجري، ومن هؤلاء:

* الأديب الناقد محمد عبد القادر بامطرف، فقد، ذكر له بيتين من قصيدتين فقط في كتابه الميزان.

* المؤرخ والأديب عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، الذي أورد قصيدة للشاعر ينفرد بذكرها في كتابه المخطوط (بضائع التابوت).

* الأديب الشيخ عبد القادر محمد الصبان الذي ذكر الشاعر في كتابين وأورد قصيدة كاملة من قصائد الشاعر، وأبيات من أخريات في (شعر الجمهور) الذي صدر مطبوعا تحت عنوان (الشعر الشعبي في حضرموت).

* الأستاذ سالم علي عبد الله الجرو أورد قصيدة كاملة وأبيات من أخريات في كتابه (بلاد الأحقاف رموز وكنوز).

* المؤرخ عبد الله محمد باحسن ذكر الشاعر وقصيدة له في كتابه المخطوط الذي حقق أخيرا (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية).

* مبارك عمرو العماري، وهو باحث من أهل البحرين أورد ثلاث قصائد للشاعر مغناة من قبل الفنانين البحرينيين في كتابه (محمد بن فارس، أشهر من غنى الصوت في الخليج).

* الأستاذ، حسين باداهية العمودي جامع قصائد في كتابه (بداية الحكمة المنتقاة للعارفين معنى يالوماه) وقد أورد فيه سبع قصائد للشاعر ابن زامل.

* مخطوطة المستشرق السويدي لندبرج والمهداة مصورته إلى من صديقي الدكتور علي صالح الخلاقي، وفيه وردت خمس قصائد للشاعر.

* ومن الرواة لا نجد إلا قصيدة واحدة للشاعر في وثائق الشيخ حاج عبد الله باطويح وهو من أهل بلدة (العليب) مهداة لنا من ابنه الشاعر سعيد حاج باطويح، فله جزيل الشكر.

وسوف نورد هذه القصائد لاحقاً مع ملاحظة أنها تتكرر عند بعضهم.

إن كل هؤلاء من عرف الشاعر ومن لا يعرف حتى الجزء اليسير من حياته ومن عرف الجزء الأوفر من حياته كلهم أشاروا بأن الشاعر علي بن أحمد بن زامل باجري أحد شعراء الغزل في الشعر العامي الحضرمي، وهذا وحده لا يكفي، فلابد من إيراد قصائد شعره المختلفة الأغراض، ولهذا أشرنا بأننا سنفرد قسما خاصا بشعره آخر هذه الدراسة عنه وعن حياته، إن كل ما استطعنا جمعه من قصائد الشاعر بن زامل لم يزد على خمس عشرة قصيدة سوف نوردها كلها في القسم الذي دعوناه (ديوان الشاعر).

أما كون الشاعر ابن زامل الحضرمي فنانا يمارس الغناء مصاحبة على أوتار عوده وهو متمكن من الضرب على أوتار عوده (القنبوس) فلا يختلف على هذا اثنان فعلاوة على ورود أسماء آلات الطرب في شعره ومنها: العود والمرواس والطبل (الهاجر) وآلات الشخاشيخ: الحجل والحزام والزنود وغيرها ومثلا ذكر آلة العود مرتين في شعره:

إلا ونا اسمع صوت في روضه (بمرواس وعود)

وفي أخرى يقول:

أرخيت انا (عودي) وشديت المطية ع البطاح

إن هذا البيت يذكر مع قصيدته الشهيرة التي ترافق قصته الشهيرة عند البحث عن حبيبته التي غيبوها عن عيونه إلى بلدة أخرى كي تزف للعريس ولكنه عند اكتشاف مكانها جلس مقابلا لبيتها مترنماً على آلته (العود) وأخذ يغني بصوت مرتفع كي تسمعه حبيبته ولم يكن متوقعا أن تسقط ميتة من هول المفاجأة!!

إن البيتين الشعريين يفيدان بأن الشاعر ابن زامل كان عازفا على آلة العود وهي الآلة التي يغني عليها أغانيه وألحانه على قصائده.

انتشار أغانيه:

أمام هذا الأمر وهذه الأغنيات التي لابد أن تكون ملحنة وغالبا ما يكون الشاعر ابن زامل هو على الأغلب واضع ألحانها، لكن المؤسف ألا نجدها مغناة هنا عند أهل الفنان في كل أنحاء حضرموت الساحل والداخل، وقد بحثت طويلا في ذلك، وقد مر معنا أنه بعد أن شاخت ذاكرة الفنان الراحل سعيد عبد النعيم فركب خطأ عبارة الشاعر المكررة عنده في أغلب أغنياته (يقول بن زامل) على قصيدة الشاعر مبارك سالمين بن علي الحاج، وهي مرثاة في سيده المقدم سالم بن عوض بن علي الحاج الحوثري، لهذا بعد البحث والجهد اضطررت إلى سؤال خبير الفن الحضرمي الأستاذ سالم عوض بامهيدي الشهير بلقب (مربعة) الذي نبهني بأن الشاعر الحضرمي أحمد زبير الشهير بلقب (بدوي) قد غنى واحدة للشاعر بن زامل وهي:

(يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن) وقد شفع ذلك بإهدائي الأغنية مسجلة على شريط.

لقد أحسن الفنان بدوي اختياره لهذه الأغنية وإسقاطها على واقعنا اليوم في حضرموت، لكن أغاني الفنان ابن زامل هاجرت إلى بلدان الخليج العربي.

إن ذكر الشاعر ابن زامل الآلة الوترية (العود) وعدد آخر من الآلات الموسيقية يثبت الآلات التي كان الحضرميون يستعملونها عند ممارسة فن الأغنية والطرب الشعبي والرسمي وهو ينفي نفياً قاطعاً كل الآراء التي كررت خطأً من أن العود ظهر زمن الفنان الرائد سلطان بن صالح بن الشيخ علي الذي ولد بمدينة الشحر وتوفي على أشهر الأقوال في مدينة ممبي الهندية (١٢٨٦ـ١٣٢١هـ) (١٨٦٩ـ ١٩٠٣م)، وكان الفنان سلطان قائما على مكتب المؤرخ الشاعر سعيد علي بامعيبد للاستيراد بمدينة ممبي بالهند، وأنه أول من عزف على هذه الآلة في التخت الحضرمي، وأن هذه الآلة تصنع في إيطاليا وكان هذا خطأ كرر على ألسنة بعض المؤرخين كثيرا، وهو من الأخطاء التي أساءت إلى

تاريخ الأغنية الحضرمية، ونحن إذا عرفنا أن الفنان الشاعر المطرب ابن زامل قد توفي ببلدته بور بعد عام ١١٦٢هـ وأن الفنان الرائد سلطان بن الشيخ علي قد ولد بالشحر عام ١٢٨٦هـ يكون الفرق بين موت الأول وميلاد الثاني مدة (١٢٥) سنة، وهذا أحد الأدلة الكثيرة التي تثبت خطأ من يقول إن الفنان سلطان هو أول من غنى على الآلة الوترية العود (القنبوس) في حضرموت فهل من المعقول أن يرى ويسمع الحضارم كل الفنانين من غيرهم وذلك في مهاجرهم الكبيرة والكثيرة وهم يترنمون بالآلات الوترية ولا يعجبهم ذلك ولا يسرهم ولا يتأثرون به، بل يقعدون على جلود الأغنام والماعز ويضربونها بعد الجفاف ناقرين بالعصي أو بالأيدي ومنتظرين سيد الفن والطرب سلطان بن الشيخ علي ليعلمهم كيفية استعمال الآلات الوترية ويجلب آلة العود من إيطاليا، أيعقل قبول مثل هذه الحكاية؟ وللعلم لم أورد هذه كرهاً أو عدم اعتراف بفن سلطان ودوره في نشر الفن والأداء الفني ومن تلاميذه من أفاد

الفنان جمعة وغيره ولكن تاريخ الاغنية الحضرمية هو ما جعلني أكتب مثل ذلك. إن هذه المسألة وتكرار نشرها في أكثر من كتاب ودراسة ومقالة لا يمكنني إلا أن أقول إنها تقلل من دور الأغنية الحضرمية وتاريخها والتي لا تقل كفاءة ومقدرة على المنافسة من أشكال انواع الأغنية في مختلف البقاع من جنوب الجزيرة العربية كالأغنية الصنعانية والأغنية اليافعية والأغنية اللحجية وغيرها من اللاتي ظهرن فيما بعد كالأغنية الجبلية والتعزية والأغنية التهامية والأغنية العدنية، ثم إنه لا توجد هناك موانع ولا حواجز توقف سير الأغنية وانتشارها بين مناطق الجزيرة العربية كلها فيهاجر الشعر واللحن والأغنية وكل جميل ويسافر الفنان المطرب والمؤدي لأية آلة بنفسه إلى أي بلد في الجزيرة العربية وفي غيرها.

وقد تأثرت الأغنية وكل الفنون والشعر والمطبخ والمبنى والملبس وكثير من الأشياء من الهند والسند وشرق إفريقيا، ولكن لم يظهر الفن

الإندونيسي ولا الإيراني ولا التركي بشكل واضح وسافر في الأغنية الحضرمية.

وبالعكس حملنا فننا إلى مناطق كثيرة ومنها إلى الشمال الإفريقي وإلى المغرب العربي وإلى بلاد الأندلس، قال الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل في كتابه (مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية): (وحينما ندرك أنه كان العرب القحطانيون من أهل اليمن خلال العصور الموغلة في القدم دولة ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع بلاد الهند وشواطئ إفريقيا الشمالية، وأن السفن اليمنية كانت تحمل إلى شواطئ إفريقيا الشمالية بضائع الهند، حينما ندرك هذه الحقائق التاريخية سندرك معها كيف وصلت إلى المغرب تقاليد موسيقى اليمن وكيف كانت هذه البلاد عينها حلقة الوصل بين المغرب وبين الشرق الأقصى) ص١٣.

ولعلي لم أطلع فيما بين يدي من اعترف دون حياء أو نقص أو احتقار دور الحضارم واليمنيين في أغنياتهم وشعر أغنياتهم والأدوات

الفنية التي كانوا ولا زالوا يستعملونها في غنائهم الشعبي والطربي الجماعي والفردي، وكان للأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل وهو من أل مدينة فاس بالمغرب، وقد كان مديراً للمعهد الموسيقي بمكناس قد نبه إلى العلاقة بين الموسيقى في المغرب والموسيقى في اليمن وله في ذلك عزو معتمداً، على رأي الأساتذة الأوروبيين، وقد ذكر ذلك في قوله: (وقد نبه الراجل الألماني هانز هولفريتز في كتابه (اليمن من الباب الخلفي) إلى وجود تشابه كبير بين الموسيقى البربرية وبين ألحان اليمن في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية مستنداً في تدعيم رأيه إلى تسجيلات موسيقية في هذا الموضوع.

وفي الحقيقة إن هذا لا يقلل من دور أهل المغرب العربي في موسيقاهم الشهيرة إلى يومنا هذا وأن اليمنيين هنا لم يكونوا إلا ناقلين فقط.

إن موسيقى الأغنية الحضرمية وآلاتها استمرت على أقل تقدير من القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) وهي على مستوى طيب يطرب الآذان ويشنفها ويرغب كل السامعين من أي جنس كان، ولذلك فهي مطلوبة ومرغوبة، الأغنية وأشعارها وألحانها والآلات الموسيقية المصاحبة، وقد انتقل بعضها إلى البلدان المجاورة من بلدان الجزيرة العربية ولكن هناك من حاول نكران دور الأغنية الحضرمية بكامل فنونها في تلك البقاع فقيل إن العود واسمه في محيطه (قنبوس) فأسموه (كنبوس) والفنان الذي يمارس فنه يطلق عليه (مكبس) بدلا من (المقنبس) وقل في الآلة الإيقاعية (المرواس) وهي، التسمية المحلية في حضرموت وقد تغير اسمه الأعلى (القصعة) إلى المرواس فاستعمله المبدعون في الخليج وقالوا إنه آلة هندية هم طوروها، وحتى الصوت والتصفيق الزخرفي والتشكيلي المصاحب للأغنية لم يعترفوا بأنه والصوت عند أهل حضرموت، وإمعانا في المغالطة قيل إن هذه الأغنية

عدنية بدلاً من حضرمية، وقل مثل ذلك في تسمية الصوت فأسموه صوت شحري وهو المنسوب لمدينة الشحر وربما لساحل حضرموت كله.

ولم أكن بهذا أريد أن أقلل من شأن الفن في الشقيقة الكويت ودورهم في تطوير الفن العربي، وإعطاء الفن وخاصة الطرب أهمية كاملة تمتعنا وأياهم بالذوق الفني الرفيع وعالي المستوى، لكن إحقاقاً للحق وأن الشعبين العربيين في اليمن أو جنوب الجزيرة العربية والكويت وبلدان الخليج العربي، كل له فنه وإمكاناته ومقدراته الفنية والكل يستفيد من غيره، لكن أن تلغي وتمسح وتغفل دور اليمن وخاصة حضرموت، فهذا الذي جعلني أحاول أن أرد بعض الاعتبارات لهذا البلد أو تلك.

إن بين يدي الآن أجزاء من كتاب الأستاذ مبارك عمرو العماري وهو من أهل مملكة البحرين، تحت عنوان (محمد بن فارس أشهر من

غنى الصوت في الخليج) وهو من ثلاثة أجزاء، جعل الجزء الثالث منه القسم الثاني من الجزء الثاني وجعله خاصاً بالنصوص الحمينية أي العامية لفن الصوت، فجاء فن الصوت كله أو أغلب نصوص أغانيه يمنية وحضرمية، ولا تجد من تلك النصوص من كتبها من أهل الخليج إلا العدد اليسير، ومن هؤلاء ما نستطيع القول أنه بلغ تعدادهم ما يقرب من خمسين شاعراً ومنهم من أصول حضرمية أو جنوبية ولنضرب أمثلة:

١ـ الشاعر يحيى عمر اليافعي له أربعة وثلاثون نصاً.

٢ـ الشاعر عبد الله بن علوي الحداد وابنه خو علوي لهما تسعة نصوص.

٣ـ الشاعر علي بن شملان له نصان فقط.

٤ـ الشاعر عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس المصري وله ثلاثون نصاً.

٥ـ الشاعر سالم عبود بانبوع وله ثلاثة نصوص.

٦ـ الشاعر عبد الله محمد باحسن له خمسة نصوص.

٧ـ الشاعر أبو بكر عبد الله العيدروس (العدني) له نصان فقط.

٨ـ الشاعر عمر محفوظ غابة وله نص واحد فقط.

٩ـ الشاعر أبو علي وله نصان.

١٠ـ الشاعر ابن زامل وله ثلاثة نصوص.

١١ـ الشاعر أبو نبهان (بن نبهان) له نصان.

١٢ـ الشاعر علي بو نافع (با نافع) له نص واحد.

وهؤلاء من حضرموت في الساحل والداخل مع الذين هاجروا الى مصر أو مدن أخرى، وهناك شعراء من المحافظات الجنوبية من يافع ولحج وعدن وبلاد الواحدي وغيرها.

أيضاً هناك أعداد من شعراء بلاد اليمن من صنعاء وتعز والحديدة ومن غيرها من البلاد اليمنية، أمثال الآنسي الأب والآنسي الابن وشرف الدين والقاره والشهاري والسمرجي والحارثي وبن جعدان وغيرهم، ولهؤلاء دور لا يستهان به في دعم الأغنية الشعبية (الصوت) في كل بلدان الخليج العربي والحجاز.

ونحن هنا في بلاد الشحر وهو الجزء الساحلي من حضرموت، وهو الميناء الشهير الذي كان عليه المعول كميناء للسفر والاستقبال للأهل والأجانب، وقد سكن الشحر أعداد من السكان من الهند ومن إفريقيا من أجزائها ولابد إلا وأنهم تركوا آثاراً على النشاط الفني غناء، أو رقصاً، وبقيت لدينا مسميات تطلق شعبياً على بعض أنواع من الأغاني، وهذا غير ما جاءت وافدة من الهند أو من إفريقيا وأعطوها أسمائها، أو صفاتها، وهناك أسماء أطلقت على الأغنية الطربية مثل الأغنية الهندية وفي رقصة الزربادي الذي اشتهرت باسم أشهر أسرة مارست فنها على آلاته وهم (آل زربادي)، ومعروف أنها أسرة تعود بنسبها إلى أحد فروع كندة التي هاجرت من حضرموت أيام الفتوحات الإسلامية، وهي الأسرة التي بقي من أفرادها بعض الأسر ومنها آل زربادي ومنها الشاعر المشهور جداً (خميس كندي) وهو من آل زربادي

وقد توفي في مدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة في ١٥ سبتمبر١٩٩٠م ـ رحمه الله ـ.

وقد أطلق كما عرفنا على الرقصة الشهيرة وكما أشرنا برقصة الزربادي، التي أشار كاتبنا بأن الرقص الزربادي كويتية انتقلت الى حضرموت، فاستحييت أن أرد عليه وتركته يهرف بما لا يعرف.

إن هذه الرقصة تقسم حسب إيقاعاتها إلى أربعة أنواع، يقال للمشهور منها مدخل ومخرج، والنوع الثالث يوجد في بلدان وادي حضرموت ويطلقون عليه اسم (يا لطيف بالعباد) وهي قصيدة ابتهالية، أما النوع الرابع فهو الموجود بمدينة الشحر أظن هذا ويقال له موزعي، وهي لفظة غريبة وتعد من التسميات الشائعة خطأ على لسان العامة، فإنك لا تجد رقصة كهذه أو شبيهها في مدينة موزع اليمنية، ومثل ذلك رقصة الشواني التي يطلقون عليها الشبواني وفي شبوة المحافظة لا تجد لهذه الرقصة ظلاً لا اليوم ولا أمس، وهي اسم خاطئ جاء من اسم

السفن الحربية (الشواني) ليس إلا. وأما رقصة الموزع الجميلة جداً فقد كان شخص يلقب الموزعي ربما جاء من بلدة موزع، أو ربما سكن بها، أو سافر إليها، وكان عازفاً ماهراً على آلات الرقصة فلصق اسمه بها، وهناك بلد في وادي حضرموت تدعى (موشح) ويدعى (الموشحي) فلا غرابة.

ومثل هذا نجد أسماء أشخاص للرقصة كرقصة الزرباني وهناك من أشهر من اشتهر بأدائها لكنهم لم يشتهروا مثل المؤدي لها: عبد الله بافقيه العلوي المشهور يلقب عبد الله شواتي، ومحفوظ بن ياقوت، والفنان خميس عبد المولى، وسعيد عبد النعيم، وعامر بن عقيل وغيرهم.

هذا في الشحر ولكن في مدينة المكلا وفي مدينة الغيل يطلقون عليها رقصة (بطيق) وفي شبام يطلق اسم المؤدي (باشراحيل) وفي سيئون (باصالح) وهكذا، فالموزعي أحد أفراد الحضارم الشحارية من لقب بالموزعي وكان من المشاهير، يرقصها الفنان الطبيب عبدالله الشاطري،

والفنان علي الحبشي، والفنان عثمان يسلم بخضر، والفنان يسلم بن قنة، والفنان خميس بن دحمان، وآخرون. وهؤلاء من عاصرناهم ورأينا أداءهم للرقصة.

وقد أشار صديقنا الباحث البحراني مبارك عمرو العماري في كتابه السابق الذكر (محمد بن فارس..) إلى أنواع من أغنيات (الصوت) أعطاها أسماء مختلفات مثلاً: صوت شحري، أو صوت شحري رخيم، ونظن أن هذه التسمية جاءت من منطقة الشحر أي ساحل حضرموت، أو من مدينة الشحر نفسها، وأنواع أخرى أعطاها أسماء مثل صوت شامي، وصوت شامي (شحري رخيم) وصوت شامي (شحري) وصوت شامي (بحريني رخيم) وصوت عربي، وصوت يماني، وصوت عربي يماني هكذا، ولا نستطيع أن نميز بين هذه الأنواع من الأصوات المميزة بتلك المميزات من الأسماء.

وهكذا تختلط المحليات بالوافدات من أغاني غيرنا، لكن علينا ألا نغبط دور الفنانين العظام من بلاد إمارة الكويت ومملكة البحرين.

ذكر من تغنى بقصائد الشاعر ابن زامل:

يشير الأديب سالم علي عبدالله الجرو، وهو من أهل حضرموت في كتابه الشهير باسم: (بلاد الاحقاف رموز وكنوز) في الصفحات التي خصصها للحديث عن الشاعر الفنان ابن زامل قال: (يقترن اسم ابن زامل بصوت يسمى في الجهة الحضرمية صوت الزام) ص١٥٠، ولم يعد يعرف هذا النوع من فن الصوت، لكن هناك أغنيات للشاعر وهي كما هو مشهور بين من كتب عنه أنها من ألحانه، وقد نسيها الأهالي والفنانون منهم لطول العهد وللتجديد ممن أتوا بعده وقدموا الجديد والجميل وربما الأحدث، لكن ذكر الشاعر وقصائده المغناة وغير المغناة تردد بين القليل من الرواة وعشاق فن الأغنية، وقد مر معنا الفنان الكبير الذي لا ينسى سعيد عبد النعيم النوبي الذي قدم صوتاً على رقصة الزربادي نسبها

خطأ لابن زامل، وهي في الأصل للشاعر مبارك سالمين بن علي الحاج، وهي مرثاة في سيده الذي نفق في معركة عقرون (انظر ذلك في كتابنا معجم شعراء العامية الحضارمة، ص٢٨٤).

إن الفنان الشحري الشهير سعيد عبد النعيم النوبي المتوفى بمسقط رأسه مدينة الشحر ٢١/ ٦/ ٢٠١٢م أنه ذكر الفنان الشاعر المطرب ابن زامل حتى وإن جاء خطأ يفيد بأن هناك قصائد مغناة له، ربما ضاعت عليه وعلى غيره وبقي عالقاً بذاكرته اسم الفنان فقط، وظن أن هذه القصيدة للشاعر ابن زامل وهو على أي حال يشكر بأن ذكّر الجميع بأن الفنان ابن زامل يجب أن لا ينسى.

لهذا بحثت طويلاً عن قصائد الشاعر التي قدمها المطربون على الصعيد المحلي هنا في بلده حضرموت، وجاءت محاولاتي بالفشل وظننت أنه ربما غنى له من رحل عنا وعن حياتنا، لكني لم أيأس من البحث الذي هداني فكري أن أذكر ذلك للأخ الأستاذ سالم عوض

بامهيدي الشهير بلقب (مربعة) وهو مهتم في هذه المسائل، فأشار لي بأن الفنان أحمد زبير الشبامي وهو معاصر لنا وتوفي على أثر حادث مروري وهو في قمة نشاطه الفني ١٨/ ١١/ ٢٠٠٠م، أنه الوحيد الذي غنى قصيدة الشاعر ابن زامل، وهي (يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن) وكان الفنان بدوي يجيد الغناء الحضرمي إجادة قل نظيرها فيمن عرفنا في زماننا من المطربين المحليين ـ رحمه الله ـ.

وقد تفضل الأستاذ سالم الذي أستطيع أن أقول عنه إنه أيقونة الأغنية الحضرمية اليوم، تفضل بأن أرفق جوابه لنا بتقديم شريط بأغنية يقول بن زامل، من تقديم الفنان بدوي وقد سرني ذلك الأداء من الفنان، وكأني به أسقط ما تحتويه قصيدة ابن زامل على واقعنا اليوم.

وقد هاجرت أغنيات الفنان الشاعر علي بن أحمد بن زامل باجري الحضرمي إلى بلدان الخليج أمثال أغنيات شعراء آخرين، وقد أعجب

بعض الفنانين البحرانيين لبعض من قصائد الشاعر الملحنة لابن زامل وقد غنوا منها ثلاث قصائد وهي:

قصيدة: (يقول بن زامل مساك الخير يا مير الملاح) وهي القصيدة التي تروى مع قصة حبه المأساوية، وغناها الفنان البحريني محمد بن فارس كما أشار إلى ذلك الكاتب مبارك عمرو العماري في كتابه الآنف الذكر (محمد بن فارس...) ص٢١٤ في الجزء الثاني القسم الثاني، وأشار بأن أول من قام بغناء تلك القصيدة الفنان ضاحي الوليد، وذكر القصيدة مستنداً إلى سبع مخطوطات وردت بها تلك القصيدة.

إن هذه القصيدة المرافقة لقصة حبه للفتاة التي حرم الزواج منها، وقد انتشرت في بلدان الخليج العربي، وتقاطر الفنانون هناك كي يتغنوا بأبياتها ولكنهم لم يسألوا عن صاحبها، فهم ككل الفنانين لا يهمهم إلا النص ولم يعد مهماً صاحبه، ودليلنا على مثل ذلك من أن الكاتب الكويتي غنام الديكان وضع مؤلفاً من جزئين، جعل عنوانه (الإيقاعات

الكويتية في الأغنية الشعبية) وفي صفحة (٢٣٠) منه ذكر القصيدة، ولكنه نسبها للشاعر الشيخ عبدالله محمد الشبراوي المصري وهو من مشايخ الأزهر بالقاهرة وله ديوان شعر يتغنى ببعض قصائده ومنها:

١) إن العواذل قد كووا قلبي بنار الهجر كي.
٢) وحقك أنت المنى والطلب.

وهناك قصيدة أخرى تعد من قصائد الفنان البحراني محمد بن فارس مطلعها (يا الله يا رباه يا غوثاه يا منشي الرعود).

ويضيف الكاتب الباحث العماري في كتابه سالف الذكر أن أول من تغنى بهذه القصيدة فنان البحرين الشهير محمد زويد وقال إنه هو من لحنها على صوت شحري، أي أنه المنسوب لمدينة الشحر، أو منطقة الجزء الساحلي من حضرموت، وقد رجع إلى النص الوارد في ست مخطوطات، يشكر على ذلك، والنص في نفس المصدر السابق ذكره ص٢١٥، والملاحظ أن ذكر هذا الصوت الشحري في ذلك الكتاب أحد

عشر مرة، ولم نستطيع أن نعرف وجه الاختلاف بين تلك الأصوات خاصة وأن المطرب محمد بن زويد لحن هذه القصيدة على (صوت شحري).

وهناك نص ثالث يرد في نفس المصدر للعماري عن فنان البحرين محمد بن فارس ورد في ص٢٦٦، ورجع فيه الى مخطوطتين ولكنه لم يستطع أن يؤكد من أن هذا النص للفنان الحضرمي ابن زامل، فتركه دون نسبة، وعدوه من أغنيات الفنان محمد بن فارس ومطلع أبيات هذه القصيدة:

بـــديت باســـم الإلـــه الواحـــد الأكـــبر

واثنـــي محمـــد شـــفيع الخلـــق في المحشـــر

وقافية القصيدة حرف الراء المفتوح مما جعل كاتب القصيدة يضيف حرف الألف على حرف الراء، ورجع في ذلك الى مخطوطتين هما:

مجموعة فرحان بشير، ونزهة القلوب والنواظر في غرائب الأشعار والنوادر (سفينة الغوى) الجزء الثاني ورقة٣.

وقد وردت في مجموعة القصائد المدرجة في كتاب حسين باداهية، ووردت في مجموعة الشاعر الراحل علي أحمد بارجا ـ رحمه الله ـ، وكان قد أرسل بعضاً من أوراق من مخطوط مجهول بالنسبة لي، وكان ذلك في تاريخ يوم الثلاثاء ٤/ ٥/ ٢٠٠٤م.

وعلى ذلك فالقصيدة للشاعر الحضرمي علي بن أحمد بن زامل باجري. وهو من أهل بلاد بور القريبة من سيئون.

نهاية الشاعر ابن زامل ووفاته:

على الرغم مما قيل من أن الشاعر المطرب علي بن أحمد بن زامل باجري معروف لدى الأوساط الثقافية، فهي مبالغة ربما أوحت لهم ترديد بعض قصائده لدى عدد من الرواة ولنتابع قولنا هذا.

فقد سجل الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف رأي أحد الرواة قوله: (بعض الحضارم يزعمون أنه شخص مجهول، عاش في حضرموت منذ عدة مئات من السنين، والبعض يزعمون أنه أحمد بن زامل بن علي بن هرهرة اليافعي، وأنه عاش في حصون آل هرهرة شمال مدينة الشحر منذ ما يقرب من مائة عام، وهو شاعر غنائي غزلي وحكمي). اطلعت على ذلك بنفسي في أوراق للأستاذ بقلمه، ولم تنشر تلك المعلومة، وكأني بذلك المحاولات الأولى لجمع أخبار شعراء المنطقة.

وقال الأستاذ الباحث عبد القادر محمد الصبان في كتابه (شعر الجمهور) الذي صدر مطبوعاً بآلة النسخ الرونيو، قال: (شاعر فحل عرف بهذا الاسم وهو شاعر معروف شعره في الأوساط بحضرموت، وهو من شعراء القرن الثاني عشر الهجري).

وكرر الأستاذ الصبان ذلك في كتابه: (الشعر الشعبي في حضرموت) وأظنه نفس كتابه (شعر الجمهور) وقد أضاف إلى ذلك:

(أنه شاعر مجيد وهو من قرية بور التابعة لسيئون.. وهو من شعراء القرن الثاني عشر الهجري كما تلقينا ذلك من الرواة الثقات).

ولم يزد على ذلك في كتابه: (دراسات في الشعر الشعبي) الذي صدر عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية دون تاريخ، ولكنه ذيل مقدمته بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٧٨م، وأورد قصيدة للشاعر ابن زامل مطلعها:

يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن

وأضاف: (صور الشاعر ابن زامل الوضع في عصره والذي لا يبعد أن يكون في أول القرن الثاني عشرالهجري).

لكن الأستاذ الصبان غير رأيه بعد أن وجد ورقتين من مخطوطات مركز الأبحاث فرع سيئون تضم قصائد وأبيات شعرية للشاعر ابن زامل، فقد رجح ما جاء عند جامعي تلك الأشعار وأقر أن وفاته ١١٦٠هـ.

وكان هذا جهداً مباركاً بذله المؤرخ الباحث الشيخ عبد القادر محمد الصبان بشكل متواصل في بعض أبحاثه الكثيرة التي لم يطبع منها إلا أربعة فقط.

ونحن لنا رأي آخر في مسألة وفاة الشاعر المطرب ابن زامل التقطناه من الجزء الثاني من مخطوط المؤرخ الباحث عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف الشهير بعنوان (بضائع التابوت، نتف من تاريخ حضرموت).

حريق التابوت:

جاء في ذلك المخطوط مسألة (حريق التوابيت) أو (حرب التوابيت) مستنداً إلى ما جاء عند المؤرخ سالم بن حميد ننقله عنه بتصرف.

(قال الشيخ سالم حميد: في سنة ١١٦١هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله أحد آل العمودي لضريح الشيخ عبد الله بن علوي الحداد، فاختلفت في ذلك آراء العلويين، فارتضى بعضهم في وضعه كمثل العلوي أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر ومن جرى مجراه، ومنهم من لم

يرضَ كآل العيدروس العلويين، وكذلك اختلف رأي القبائل حتى صارت الحرب، وأصيب العلوي صالح بن علي بن أحمد برصاصة ونفذوا به إلى بلاده عينات، وبقي التابوت في بيت بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، ثم طلب العلوي أحمد بن علي أن يضعه على الضريح لأن أباه علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد المتوفى في ١١٤٢هـ كان له أخذ على العلوي الصوفي الحداد، في قصة طويلة لا محل لذكرها هنا، فجاءت الرتب من يافع فوضع بحضورهم على خداع من ابن همام في وضعه.

وبعد أن وضعه سار العلويون آل العيدروس إلى عند آل كثير هيجوهم حتى أحرقوا التابوت ثم اجتمع الرأي على إرجاعه على القبر فردوه عليه بعد أن أصلحوا ما احترق فيه أو أبدلوه كله بالساج الهندي الملون، هذا ما يقوله ابن حميد، ولكن لا تابوت يوجد على قبر الحداد الآن وكأنهم وضعوه ثانياً، فعاد آل العيدروس ومن في جانبهم لإحراقه أو إبعاده مرة أخرى، فإن الحرب امتدت بشأنه إلى مدة طويلة..)، والمدة

غير واضحة في المخطوطة المصورة، وعند ابن حميد في كتابه التاريخي (العدة المفيدة) مثل ذلك.

وأشار المؤرخ الشيخ محمد علي باحنان إلى نفس ما جاء عند ابن عبيد الله السقاف وعند سالم بن حميد في كتابه (جواهر تاريخ الأحقاف)، لكنه أضاف إلى ذلك قوله: (ومن هذا كان التنازع والنضال والجدال بين العلويين آل العيدروس وآل الشيخ أبي بكر بن سالم إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري) ص٥١٥.

وعلى كل ذلك لا يمكننا أن نوافق على تاريخ وفاة الشاعر ابن زامل الذي حضر شيئاً من تلك الأحداث الجارية بشأن الخلاف العلوي حول التابوت، فقد جاء بيت شعر من الشاعر ابن زامل ذكره ابن عبيد الله في مخطوطه بضائع التابوت:

يقـول بـن زامـل لهـا سـنتين مـن علقـت بنـار

أول مصـيبة فتنـة الصـندوق مفتـاح الغيـار

ولا يزيد ابن عبيد الله على هذا البيت الشعري أي أبيات أخرى، لكننا استفدنا من أن الشاعر ابن زامل امتد عمره سنتين على بداية أحداث الخلاف العلوي العلوي على وضع تابوت الحداد.

لهذا نستطيع القول مؤكدين من أن الشاعر على أحمد بن زامل باجري الشاعر المطرب على العود قد توفي بعد عام ١١٦٣هـ (١٧٤٩م) وذلك بناء على بيت شعر قاله ذاكراً حادثة حريق التوابيت.

هذا كل ما استطعنا جمعه من أخبار الشاعر ابن زامل ويلي ذلك قصائده التي تم جمعها.

****

الديوان

أبيات عجاب

يقــول بــن زامــل نظمــت أبيــات منظومــة عجــاب
من وقع هاجس حلو مثل الطش مـن روس السـحاب
فيـه العجـب ويـن العـرب لجـواد قـد هـم في الـتراب
رواس بلعجـــم وزيمـــة لي يـــدلون الصـــعاب
القبولـة مـن بعـدهم في الحـزن قلـدت كـل بـاب
وبعــد يــا عــاني توقــف لي مــن المغــرب هبــاب
باعطيــك منــي قــول وألا خــذه منــي في كتــاب
أبلـغ إلّمـا حضـر جعفـر السـلطان عسـاف الرقـاب
قل له وزد قـل لـه خطـاك العقـل وافرطـك الصـواب
أقبــل وصــادق يــافع الثقلــين شــف يــافع طيــاب
هــم يعــذرونك وأنــت تعــذرهم إذا خــاطرك طــاب
طريــق مــا بــين الطــرق تحصــل إذا الشــيطان غــاب

يتفرد بذكر هذه القصيدة المؤرخ الأديب الشاعر عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف إذ يذكرها في الجزء الأول من كتابه المخطوط: (بضائع التابوت، نتف من تاريخ حضرموت).

مساك الخير

يقـول بـن زامـل مسـاك الخـير يـا مـير المـلاح
يـا فـايق الغـزلان يـا نعسـان يـا نجـم الصباح
يا مشفي المتعـوب يـا خرغـوب يـا نـوب اللحـاح
سـلبت حـالي هشـت عقـلي يـا مـترف بالمسـاح
عليش ويش ألقيت بـك ذا البعـد يـا حلـو المـزاح
إيش ذي جرا طال البرا ما حـد سـعى لي بالصـلاح
أو مـا تخـاف الله في بـن زامـل المسـكين راح
غريب مسـتوحل إلى الليـل اعتـدل غفـل وصـاح
يعجبك في بيت الضـليمي لا نغـم بالصـوت نـاح
أصوات بعد أصوات فيها المـوت مـا قـط اسـتراح
ارحـم عـلي يـاعيطلي، خـل القواسـة والمـزاح
الطب طبك يـا رضـيض القنـد يـا نـوب اللحـاح
تحتك وبين ايـديك بـن زامـل عـلي خـذه النجـاح
مـا ردت فيـه افعلـه يـا قمـري قـمار السـر بـاح

مـا في الحيـاة إلا الفسـح يـا مـالي أكثـر لفتسـاح
شـفني تركـت أهـلي وخـلاني وهيمـت الريـاح
لأجلك نويـت العـزم والله لـو عـلى ايـدها سماح
ما زلـت منـك يـا ابلـج الغـرة ولـو دونـك رمـاح
مـا غـير يـا الأهيـف لقيتـك في خلـق بـين المبـاح
واحد قبض راسك بوجه الشرع ما ضـمك سـفاح
غصبا صـبر قلبـي وبرجـع مثـل مكسـور الجنـاح
خـيره لي الله منـك ذي مـا هـو عـلي بالفضـل نـاح
يعيضني يـا اهيـف بغـيرك فـن مـن غـير الصـباح
يفـرح بـه الخـاطر صـغير السـن غايـة لفـتراح
راعي جعيد أسـود معقـد مـن سـينه المسـك فـاح
وحـروز شـاروخي وعـاد أعيـان قتالـه صـحاح
والعنـق سـومي بـالحلق والسلسـلة عنـد الوشـاح
والخشـم خنجـر منتصـب إلى ابتسـم بـراق لاح
وكوب به في الصـدر حفـل كالسـفرجل بالنجـاح

ومــن وجعهــن تجيــه الــود تســمع لــه صــياح
جــل الــذي مثلــه عســى يقبــل ويســتر لفتضــاح
في ذه وفي الأخــرى وعنــد المــوت ســاعة لنطــراح
يغفـــر ذنـــوبي غـــافر الزلـــة وغفرانـــه متـــاح
والخــتم صــلى الله عــلى أحمــد عــد مــا بــراق لاح
وعـــد مـــا غـــرد القمـــري عـــلى روس اللحـــاح

قصائد ابن زامل من مخطوط (لاندبرج)

يقــول بــن زامــل إلى قــد لقــاك   صــاحبك قفــا بــك وخــلاك
أوراق هــذا قــد قطــع الســلاك   بطـــه واقطـــع منـــه ســـهناك
وبــور في فكــرك واتــرك رضــاك   وأصــبح حليــف الــود يثنــاك
ولعاد تتبــع حــد وهــو مــا بغــاك   دور لحـــــد يـــــازين يهـــــواك
غــدا دعيتــه قــال روحــي فــداك   ولـــو تبـــا رقبتـــي تفـــداك
وان زاد بعد اثنــين خلــك دعــاك   ولا مثــل صــاحبك مــا انســاك
قله عجيــب يــاعيطلي مــا كفــاك   يحكـــــون لي بـــــالخيم دولاك
جعلتنــا فرحــان بــك خــد بــراك   قطــع الســهن يــا خــل فتــواك

محد لقا فعلك ومن قد لقاك		مجراك عادك جيت مجراك
أيام عشتك يا قفين السماك		قد كنت تهوانا ونا اهواك
خذنا سنة في بحر موجه تصاك		ما تسمع الداعي من الداك
واليوم بن زامل عطيته وراك		وقلت خد له قام دولاك
قريب في واليوم يدرك دواك		باحول بك بين لشباك
قد كنت تنظرنا مراقب هواك		وافرح بخضابك وحناك
ياعيطلي كم ما علي لا دعاك		وان لك دعاوي فن دعواك
يالله ننس كيف بسمع غناك		صوتك يذيب القلب ما أشجاك
الله يرمي كل من قد رماك		وجاك في لشوار ورداك
والله لو دونك بنادق تصاك		وتنتعل دهمه ولتراك
والفين صلوا دايما في ؟؟؟؟		على الذي يمحي خطاياك

كلام الكذب

يقول بن زامل كلام الكذب ما يصل حد مكان
الكذب لا عشاك ما ضحاك وآخره الهوان
إنه كما الثوب الموسخ ما يحسنه الصبان

الوجه يـبرق والقفـا أغـبر ولـو لـبس مـن كـان كـان
والصـدق تنجـا بـه وتجلـس مجلـس النـاس الزيـان
شـفهم يحبـون الـدراهم كـان عنـدك درهمـان
شـلوك فـوق الـراس طـالع وصـلوك الزبرقـان
عـلى القطـف في غلـب مـا بـين الثريـا والزبـان
وغن سلتهم في عـرس تمسي عنـد مـن تطلـب كـلان
يعارضـوا بـالعز والحيـا رتـون الخيبعـان
وامـا لمـل والعبـد هـم تـرك الحتيكـة والشـنان
إلى خـرج لسـبوع سـدوا لـك فـرس والاّ حصـان
يلقونـك المـامون والاّ المعـربي مـولا عـمان
وان مـا معـك شي قـل خـيرك والقـدر هـان
يبادرونـك بالجفـا والجـرح في وجهـك عيـان
لخـوان والجـيران كلـن فيـك يطعـن باللسـان
وان فتحـوا الهقلـة في السـمرة يلقونـك نشـان
ليش النكد والـبغض؟ قـالوا مـا معـك شي في الثبـان

فقـري وشـف مـا حـد يحـب الفقـر قـم خـل الجنـان
إلاّ ان بغيـت الصـدق منـي خـل حقـك في الثبـان
عنـــد العــروس الاّ تزهـــى للحــراوة والكــلان
يــدخل إلى الغايــة ولا يــدري بــما تحــت الغفــان
الى نشـــدوه لصـــحاب الـــذي هـــم بــه ضــنان
قــالوا العــروس الــزين فيهــا مــا كماهــا في المكــان
وان مــا ملــت شــفه طردهــا قبــل لا تــوفي ثــمان
ولفــي صــلاة الله عــلى أحمــد عــد مــا قــد فجــر بــان

هذه القصيدة لا ترد إلا عند باداهية في مجموعة (بداية الحكمة..) وفي الصفحة (٩٥).

(١) أضفنا كلمة (حد : أي أحد) ليستقيم الوزن.

(٣) الصبان : الصباغ.

(٤) هكذا ورد البيت.

(٨) غلب ـ مكان مرتفع أو أعلى المنزل.

(٩) سلتهم أي سألتهم طلبت الزواج.

كلان : كلمة محلية تعني عريس

(١٠) رتون : لم نستطع فهمها (وأظن أنها كل ما يتعلق برقصة الخيبعان)

الخيبعان : شعر على وزن معين يقال في مدح العرسان مع اللحن على إيقاعات خاصة به هنا في الشحر وهي رقصة نسائية.

(١١) لم يستقم عندي معنى لهذا البيت.

(١٢) لسبوع : أسبوع.

(١٣) المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد الخليفة العباسي الخامس..

(الزبرقان) : تعني القمر ليلة تمامه.

(١٤) في الأصل (وإن ما معك شي).

(٢١) نزها : تزهى.

(٢٢) هكذا قرأتها ، الغاية.

(٢٣) لا يستقيم هذا البيت لا معنى ولا مبنى.

بياض الشيب

يقــول بــن زامــل بيــاض الشــيب في المفــرق يلــوح
يــا خيبتــاه إن عادنــا هاويــت والاّ مســيت نــوح
أو عادنـــا هاويـــت حلـــوات المباســـم والمســـوح
حلو المباسـم كـاملات الوصـف غـزلان السـفوح
لا نحت بالمغنى مـن المبنـى غـدت لعظـم نضـوح
الله يحيـــي عصـــرنا لي مـــر وأيـــام الشرـــوح
رعـــى الله أيـــام الشـــبوبة والزوامـــل والصـــيوح
القـوت مـا يطـرش عـلى الخـاطر يجـي والاّ يـروح
لــو كــان زيــره مــا تهــق الــنفس لــه والاّ لحــوح
والاّ عــديني بــن صــافي خلطــه أقــراص الجبــوح
الصيف ما نهواه نهـوى الاّ الشـتاء لاجـل السـنوح
مــن ميــد طــول الليــل للعشــاق ســلوة كــل روح
بشعوق يغـذين البـدن مـا تكتســي بـز الوصـوح
نصـــرف دراهمنـــا في الهلبـــة وبونـــا بـــن صـــلوح

وإن حد مكذب في كلامي كيه يعـارض بـالطروح

واحذر مـن الـدنيا ولـو هـي تمـلأ الخـاطر تـروح

شفها لغـيرك وانـت تحمـل شرهـا يـوم الوضـوح

أما اخرجتك العصر والاّ الصبح من بيتـك سروح

سيئون نور العين عليها النـور مـن فـوق السـطوح

والختم صـلى الله عـلى أحمـد عـد مـا قـائم نصـوح

هذه القصيدة ينفرد بروايتها الراوي حاج بن عبد الله باطويح . وقد أورد الأستاذ الصبان ثلاثة أبيات فقط من هذه القصيدة في كتابه (شعر الجمهور) ص٢٧ وهي الأبيات الثلاثة الأولى الواردة في القصيدة.

(٢) (ياخيبتاه) عند الصبان و(ياشوقتاه) عند الراوي باطويح.

وقد استشهد الشاعر حداد بن حسن الكاف بهذا البيت ورواه هكذا:

ياشوفتاه إن عادنا غنيت وإلا بت نوح

جاء ذلك على لسان الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه (الشاعر الغزل، حداد بن حسن الكاف) ص٧٧.

(٥) لعظم أي الأعظم، وهناك رواية أخرى : لعضا أي الأعضاء.

(٦) في رواية (عصرهن).

(١٦) تملأ : تملي.

(١٨) أما أخرجتك وفي أخرى أما خذتك.

(١٩) نور العين وفي أخرى نون العين.

جميع الناس

يقــول بــن زامــل جميــع النــاس مــا حــد مســتريح

يعــــالجون الوقـــت والمحنـــة وباطـــل مســـتبيح

وان شفت حد يضحك يقع باطنه مـن داخـل جـريح

لكــن حــد صــابر لمــا صــابه وحــد ضــيق يصــيح

عــزات أيــن أهــل اللبابــة زاد في الصــوب الــوزيح

ضــاقت فرايصـــنا وكمـــل صـــبرنا واتـــلى النـــزيح

والله لـــو دورت مـــا دورت مـــا تلقـــى نصـــيح
غير الحسد والـبغض مـا واحـد عـلى واحـد صـحيح
ولـو تشـوف الصـوم والطاعـة يسـفحون الرضـيح
لـه شـوق حلـو الـذوق بـل خرمـه وطربـه للقـزيح
يتـابعون المـال مـول المـال ذو الوجـه الصـبيح
الـدرهم الـدرهم يـرده زيـن لـو كانـه قبـيح
راحـوا رجـال السـد والتسـديد والفعـل المليـح
وخلفـوا في الوقـت بقيـة مـا يهـابون القبـيح
ثم كيف نفعـل في الزمـان العيـف وأهلـه مـاء وريـح
لا حلـف تسرـح بـه ولا عرضـه ولا عـروة صـليح
وان جيـت بـاتقفي وتـترك للـوطن وانتـه فسـيح
فكـرت ان السلسـة والقيـد تـرزح بـه رزيـح
أهلـك ومالـك والـوطن محبـوب لوكيلـه شـحيح
رض وانطـرح للحـول والقـدرة وكـن تحتـه طـريح
وثـق بحبـل الله واحـذر مـن عـلى بابـه تـزيح

إن كنـت بـه واثـق فـلا تخشـى عـلى سرك يبـيح

والختم صلى الله عـلى أحمـد صـاحب الوجـه الصـبيح

هذه القصيدة أوردها الشاعر الأديب المؤرخ عبد الله محمد باحسن في كتابه المخطوط (النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية)، وأورد بعضاً من أبياتها الأديب عبد القادر محمد الصبان في كتابه (شعر الجمهر) ص٢٧، وأورد ثمانية من عشرة في كتابه (دراسات في الشعر الشعبي)، وبيت واحد وهو رقم (١١) لم يرد عند باحسن.

(٢) عند الصبان (يعالجون الوقت في محنة).

(٣) عند باحسن (ترى باطنه).

(٤) عند الصبان (حد منهم يصبر على ماله).

(٦) عند الصبان (قامت فرائصنا).

(٧) عند الصبان (والله ثم والله).

(٨) عند الصبان (لولا الحسد... ، واحد يصيح).

(١٢) عند باحسن (الدرهم الدرهم ومن تلقاه في وجهك نصيح).

يا منشي الرعود

يـــالله يـــا ربـــاه يـــا منشـــــي الرعـــــود
يــا الــلي خلقــت آدم واســكنته بجنــات الخلــود
وأغــواه بــو مــرة، خــرج آدم مــن الجنــة طــرود
يقــول بــن زامــل حلمــت الليــل والعــالم رقــود
إن الحبيـــب أقبــــل وجبّــــالي بحبــــه عنـــبرود
وفرحـــت نـــا منـــه وقبلتـــه عـــلى صـــحن الخــدود
وأربع على المبســم وستعشــر عــلى الوجنــة عــدود
عشــرين في عشــرين قبلــة واحــدة وســط النهــود
وقمــت نــا مرعــوب مــن نــومي وخلــق الله رقــود
دورت ما عنــدي ســوى البنــدق معلــق في العمــود
لمــا صــبح لي صــبح شــديت المطيــة والقعــود
وخرجــت دور لــه ونــا هــايم كــما بعــض الأســود
ألاّ بمرســـل قـــال بـــن زامـــل خلـــك بـــايجود
إن صــح هــذا القــول والفتــان عنــدي بــايعود

لأعطيك من عندي ومن مالي مية مشخص نقود

إلاّ ونا اسمع صوت في روضة بمرواس وعود

لما تبعت الصوت سمعت الخل في وسط الجنود

عرفت خلخاله ورنات الهياكل والزنود

قلت افتحوا لي الباب يا من قد ملكتم في الوجود

قالوا لي ما نفتح الاّ للذي عنده نقود

فقلت مطلوبك ريالات أم ذهب صنع اليهود

قالوا مية مشخص مشاخص شغل سلطان الهنود

فقلت أمهلني أجيب الصر من داري واعود

رحت أجيب الصر لقيت الباب حراسه قعود

قالوا لي رح يا هبل ذا باشه ومن حوله جنود

إلاّ ونا بالخط من سيدي وبه جملة شهود

قال افتحوا له الباب ذا عاشق ولا يحمل صدود

لما دخلت الروض لقيت الخل مع بعض الجنود

عاتبت محبوبي وهو بين المحافل والجنود

وقلـت يـا بـاهي المحيـا مـا سـبب نقـض العهـود
خليتنـي في حـال وارضـيت العـواذل والحسـود
جعلت حبـك مـذهبي مـا بـين الشـوافع والزيـود
أنـا مولـع بـك وعـادك وسـط بطـن أمـك ولـود
لـو خـيروني فيـك مـن عـمان لا داخـل زرود
وأرض الـيمن والشـام ومـا فيهـا جميعـا والهنـود
ما اخترت إلاّ أنت يـا مـن منزلـك سـعد السـعود
يا باشـه الغـزلان يـا مـن لـك جميـع الغيـد جنـود
والفـين صـلاة الله عـلى المختـار مـا شـنت رعـود

وينفرد الباحث البحريني مبارك عمرو العماري بورود هذه القصيدة في كتابه (محمد بن فارس) معتمداً على عدد من المخطوطات (انظرها في الجزء الثاني ، القسم الثاني، ص٢١٥-٢١٦) من كتابه، وقد عرضتها على عدد من الرواة لعدم تمكني من قراءة بعض الألفاظ وعدم استقامة بعض أبيات القصيدة وتكرار قوافي بعض أبياتها.

والقصيدة خلاصة ما وصلت إليه بمساعدتهم.

(١) عند العماري ، الله يا رباه.

(٢) عند العماري ، وسكنت.

(٣) عند العماري ، بو مرة أي أبو مرة كنية إبليس ، ويلاحظ إخفاء الألف في النطق الشعبي.

(٥) جبالي : أي أعطاني وهب لي.

(٦) عند العماري ، فرحت أنا بذلك.

(٩) عند العماري ، وقمت من نومي وأنا مرعوب.

(١٥) مشخص: عملة ذهب أو فضة.

(١٨) عند العماري ، والزدود.

(٢١) ريالات ، ريال ماريا تيريز ويقصد مطلوب فضة أو ذهب.

(٢٩) عند العماري ، ما بين المحافل.

(٣٣) عند العماري ، وعادك في بطن.

(٣٤) زرود : موضع بطريق مكة بعد الرمل فيه قصر أصفر لعلها سميت به.

قال مهيار:

ولقد أحن إلى زرود وطينتي ** من غير ما جبلت عليه زرود

(٣٧) هكذا جاء البيت.

(٣٨) عند العماري ، وألفين صلاة الله.

في ساحل البدو

أبـــديت باســـم الإلـــه الواحـــد الأكـــبر
واثنـــي محمـــد شـــفيع الخلـــق في المحشـــر
في ســـاحل البـــدو انـــا عاينـــت عـــود اخضـــر
صـــغير الســـن دوبـــه حامـــل المنظـــر
يـــنقش جبينـــه ويمحـــش كلـــما اتكـــدر
راعـــي محاليـــل نصـــله ســـودا والجبـــين أزهـــر
طلعـــة جبينـــه قمـــر ليلـــة خمستعشـــر
واعيانـــه الـــدر واليـــاقوت والجـــوهر
والخشـــم فصـــله عـــماني غـــالي المشـــتر
واضراســـه البـــيض شـــبه الصـــين في المعشـــر
وخـــدوده الـــورد حمـــر البـــيض في أمهـــر
والفـــم خـــاتم ســـليماني ذهـــب أحمـــر
وريقـــه عـــذب عســـل جـــردان في مســـهر
والعنـــق غـــزلان يرعـــى في شـــجار أخضـــر

ساعة نظرته يرعى في سيوح أخطر

والصدر ميدان للخيال والعسكر

واكعاب رمان أصله من شجار أخضر

والبطن طاقة حرير طلسة ومشجر

والخصر قبضة رفيعة رأس للخنجر

والعجز مركب فرنجي داخل البندر

شاحن قماشه ولولو الغوص والجوهر

نزل حموله في الفرضه ولا عشر

الزين يمشي على الكرعات يتخطر

ما بين لفخاذ حرف النون في الدفتر

لا شافه العالم القاري ترك ماقر

بطل صلاته ودينه واتبع المسمر

وبن علي في هوى الزينات متغير

والفي صلاتي على أحمد عد ما نور

هذه القصيدة وردت في أوراق من مخطوطة مرسلة إلي من الصديق علي أحمد بارجاء رئيس فرع اتحاد الأدباء سيئون، في ١٧ بيت ، ووردت في مجموعة باداهية المطبوعة بالهند في ١٩ بيتاً.

ووردت عند العماري البحريني في كتابه (محمد بن فارس) في ٢٨ بيتاً، وسوف نعتمده باعتباره يستند إلى مخطوطتين:

(١) قصائد غنائية مختارة ، وهي مجموعة فرحان بشير.

(٢) الجزء الثاني من سفينته الغوري (نزهة القلوب والخواطر في غرائب الأشعار والنوادر) انظر الجزء الثاني، القسم الثاني ص٢٦٦-٢٦٧، من كتابه (محمد بن فارس) ولكني سأجعل ما ورد عند بارجاء وباداهية للتصحيح وأدلة أن القوافي فمنها يضاف إليها حرف الألف عند العماري : الأكدا، المحشرا، أخضرا، المنظرا...

(١-٢) يردان عند العماري فقط.

(٣) عند العماري، في سيح بدوان أنا عاينت ريم أخضرا.

(٤) عند العماري ، حامل بيده المنظرا.

(٥) عند العماري ، وبحمي كلما قدرا.

(٩) عند العماري ، فعلة فرنجي.

(١٠) عند العماري ، وسنونه بيضاء.

(١١) عند العماري ، هكذا ورد.

(١٢) عند العماري ، خاتم إلى السلطان.

(١٣) عند العماري ، هكذا ورد (والأبيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ترد عند العماري فقط).

(١٤) عند العماري ، والعنق غزلان على القناص يتخطرا.

(١٥) عند العماري ، فقط ورد هكذا.

(١٦ – ١٧) لا ترد عند بارجاء.

(١٧) عند العماري ، وكعوب رمان عالي في غصون أخضر.

(١٨) عند بارجاء وباداهية ، حرير الهند ومشجر.

(١٨ – ١٩) يردان عند العماري فقط.

(٢٠) عند العماري ، فرنجي وصل، والبندر : الميناء.

(٢١) عند العماري ، هكذا ورد.

(٢٢) الفرضة.

(٢٣) عند العماري فقط.

(٢٤) لفخاذ أي الافخاذ.

(٢٥) عند العماري ، لي شافه عالم نسي علمه ولا باهر.

(٢٦) موجود عند بارجاء وباداهية فقط.

(٢٧) عند العماري هكذا : والفين صلاتي على احمد عد ما ذكر.

قنع وانتكف

يقـول بـن زامـل قنـع وانتكـف	مـــن بعـــد مـــا كانـــه مكلـــف
النفس طابت صدق بعـد الـدنف	خـــيره قنـــع خـــاطري يهيـــف
بـــاعطيلي لا تكثـــر المختلـــف	دور لغـــــيري يـــــا المـــــترف
غرتـك نفسـك يـا غـزال الشـنف	وأمســــيت يــــا مــــالي تنطـــف
وش بـا يقـع بعـد الجفـا والنطـف	الاّ تعــــــب وارواح تتلـــــــف
أوصـــلتنا لا يـــا رضي للتلـــف	اقلوبنــــــا معـــــــاد تلتـــــف
من صاحب اثنين امتده واختجـف	هيهـــات راح الغـــدر يصـــرف
وأيام عشـقك قـد حملـت الكلـف	وغـــديت شـــبه الطـــار وارهـــف
أمســـي وظـلي نـوح بـين الخلـف	وافـــرح عـــلى شـــفتك تشـــرف

واليوم حملك فوق لمتان خف   هواك ذي في الجوف طرف
روح لك ونا باروح خل الجلف   دور لغيري يا المضرف
تلحق ونا الحق في بلادي عنف   لا عذر من غيرك مهفهف
راعي جيشي فوق متنه وقف   إذا المكدد يوم يقحف
يغداه بالعنبر وما ورد نف   والنافيه والغرق يسقف
صوغه حسن من فوقها ما تصف   مهيا حروزه يوم تصطف
وأعيان بالفتان ترمي نضف   حمر الحدق باللحظ تخطف
والخشم قصبيه تشل الطهف   ....
ومبسمه بارق على النجد رف   والريق يشفي من ترشف
واكعوب حفل بينهن طرح كف   شبيه حب الليم والطف
والعجز مسماري مسافر نقف   تخشى على ادقاله تعسف
وافخاد لوبا تسكب الماء وقف   والحجل في ساقه توقف
وأقدام زينة ما دخلها حنف   موت العرب مكتوب في الكف
هو ذي خذ الشطه نهار الملف   وصفوه ذي شافوه في الزف
قالوا رحيم الخد ساعة هدف   خلا بنات آدم تخلف
وردت انا شفته مصرص عكف   والصين باليمنى مشنف
غلط حسابي والطحين اغترف   وش عاد لا قد حان واسعف

يـا الله متـى ولفـه يقـع في ولـف   ونحــول بــه في الغلــب لشــدف
هــذا ورب اغفـر لنـا ماسـلف   وانظـــر إلى مـــن لا تعفـــف
واختم بمن قـد زان إليـه الشـرف   أحمـــد منـــور كـــل مصـــحف

هذه القصيدة ينفرد بروايتها الأستاذ باداهية العمودي في مجموعه الذي أسماه (بداية الحكمة المنتقاه...) ص٩٢.

(٧) هكذا قرأت الكلمة (امتده).

(١٠) في الأصل (حملت) و (هواك زي...)

(١١) في الأصل (النافجة).

(١٦) في الأصل (نصف).

(١٧) العجز مكرر من عجز (١٦).

(٢٠) هكذا قرأتها تعسف.

(٢٥) مصرص عكف : موضة لتصفيف الشعر.

(٢٦) وشعاد : وأيش عاد.

يا أبلج الغرة

يقـول بـن زامـل لي الله يـا أبلـج الغـرة ولـك
سر في جنب يـا أدعـج نـا بشـل طـوعي والشـبك
ودور من غيري إلى قد شي معـك في القلـب شـك
صـحبة ولا شي ود يـا مضـنون قـده الا ضـنك
الى قبـل صـاحبك قـال الله بـلاني وانشـبك
الميلـه افعـل خـير واحسـن لا تقـع كلمـة حبـك
هـي غـير دنيـا لا يمـر العمـر في محنـة وصـك
لـيس النكـد والكـد والضـولة لهـا ضـارب ورك
وإلى النفس مـاجود وش يازيـك تـدخل للضـنك
وإلى لقيـت أجـواد وش تبغـى بشـيران الصـكك
لي يقلقـون الـذهن في المجلـس يحبـون المحـك
علامـة المـبلي يجـي مـن غـير داعـي واشـتحك
لي مـا يبـالي لا وقـع لـه كسـر خـاطر مـا احـترك
قـد سـبقت الآيـة عـلى المخلـوق إن سـار أو بـرك

في آي سـورة قولـة الـرحمن مـا شـاء ركبـك

شف حد على الزبدة ولحم الكـبش لـيلي والعكـك

والصبح معصـوبة ونـوب النحـل مـا صـبغه ودك

وحـد عـلى المرقـون والخرمـع وفيحتـه السـمك

قسمة مـن البـاري لـه التصريف كـم قيـد وفـك

إن كنـت صـالح مـرضي الله مـا يخيـب الله معـك

وإن كنت مثلي عانـك الله ضـعت والقلـب امتلـك

بحسن ثمـن مبيـوع في سـوق المعـاصي قـد سـلك

وأيامنـا تعـبر ومـر العمـر كلـه وانـترك

نمسي ونصبح عا الضحك والوقت يدرج والفلـك

عـلى السـفه واللهلهـة بـين الشـوارع والـدكك

والمرحلـة طالـت وحمـلي زوع بـه والعظـم رك

آقف وراجـي فضـل مـن يحيـا ومـن يهلـك هلـك

والخـتم صـلى الله عـلى أحمـد عـد مـا وادي فتـك

ومـا حـدا حـادي وحـن الرعـد والثعـر انهمـك

صـلاة مـا زالـوا يشـدون الركائـب والرمـك

وينفرد كتاب باداهية بإيراد هذه القصيدة ص٩٠-٩١، ونحاول قراءتها صحيحة مع النظر إلى ما ورد بموقع سيبان بالأنترنت:

(١) يا أبلج : يا أدعج.

(٢) طوعي : شباك صيد بري.

(٨) ليس النكد : أليس النكد.

(١٢) اشتحك : دخل في مكان ضيق لا يسعه.

(١٣) يحترك : أي ما احترك، أي لم يتأثر.

(١٦) هكذا في الأصل.

(١٧) في سيبان (قوت النحل أي العسل) الودك الشحم.

(١٨) الخرمع : طبخة شعبية من الذرة والدخن لم تعد تعمل اليوم.

(٢١) هكذا في الأصل (عانك الله ضعه).

(٢٢) بحسن : أي باحسن.

(٢٤) عالضحك : على الضحك.

(٢٥) في الأصل (والهله) نظنها (اللهلهة)

(٢٦) ولمرحلة : المرحلة.

مضى دهري

يقول بـن زامـل مضـى دهـري ونـا لاهـي مقيم
بـالغي والتفـريط والميلـة إلى الفعـل الـذميم
والقلب في غفلة كيـف القـي بـذا القلـب الغشـيم
تيـاه في دنيـاه وأخـرى إن قضـى رايـه عـديم
يفعـل خـوارق واسـعة والـنفس تبعـه للـرجيم
النفس لا قالـت نجـح قـال احـترق شـاجع همـيم
على المعـاصي يلهمـك مبعـد رجـع قـاسي صـميم
كـم لي ونـا وقـره لونـا وقـر الـوحش البهـيم
قـد رق لي وارقـه أيضـاً وانتصـح واصـبح فهـيم
يـا قلبـي الفـاني تـذكر لـيس بافعالـك نـديم
شف مـن خلـق قبلـك ومـن عـاده بوالـد أو يتـيم
هضل الحسد يفنى ومـن تنظـره في جهـك جسـيم
المـوت يفنـاهم كبـار السـن والطفـل البهـيم
قبـاض لـرواح الملـك يسـقيهم الكـاس الـوخيم

وآدم أول مـن خلـق وأيـن النبـي نـوح القـديم

آدم ولـد حـواء ورجعـت زوجتـه علـما علـيم

ويـن النبـي هـود ايـن صـالح ايـن لقـمان الحكـيم

وشـعيب وإسـماعيل واليسـع وذا الكفـل العلـيم

وعزيـر اينـه وآسـيا ذي نـادوا الـرب الـرحيم

وحنظلـة اينـه وجملـة رسـل في علـم علـيم

اين النبي عيسى بن مـريم والنبـي موسـى الكلـيم

ايـن النبـي ذي شرف الكعبـة وزمـزم والحطـيم

أحمـد حبيـب الله اينـه ايـن ابي بكـر النـديم

والبطـل أبي حفـص عمـر اينـه وعـثمان النشـيم

اين ابن أبي طالب علي والقطب وأصـحاب الـرقيم

ايـن الجـدود السـابقة ايـن الـذي زانـوا تـريم

ايـن خيـول أهـل العسـاكر ذي تصـبحهم نهـيم

ذي يخـدمون الشـرع مـا يصـغون لا لمـة لمـيم

عـلى الرضـا والـود والراحـات والعـيش الدسـيم

مـا كـنهم خلقـوا ولا كـانوا قـد اعضـاهم رمـيم
ونحــن في صــبوة وطــول آمــال وافعــال تشــيم
لا نعتــبر كــلا ولا خفنــا مــن أهوالــه جســيم
آح عــلى شــبه مضــت في عصــر مــذموم شــتيم
آح عــلى عصــر تملكــه الزلــل مــن غــير قــيم
آح إلى نــا امســيت ظــاهر بــادل الجــيش الهــزيم
آح إلى نـا صـبحت بـين أهـل الـوهن شـيئاً ذمـيم
آحٍ عـــلى آحٍ عـــلى آحٍ مـــن الكســـب المشـــيم
كم شـاع دنبـي كـم ثقـل يـا ريتهـا كانـت عقـيم
عــزي لمــن مــثلي كثــير الــنقص في الخمســة يضــيم
والعمـر مـا تـدري بـه غـلاّ مـر واسـتوفى الغـريم
إلى متــى يــا أيهــا المغــرور في الســكرة تهــيم
تســلا وعزرائيــل في ســوقتك والقــبر الغمــيم
والملكــين أهــل الوكالــة لم تجــد مــنهم لــزيم
مـا خفـت لقيـاهم ولا يرهبـك مالـك والحمـيم

ان لا نشف واديك لا تهلـك وهـو مسـنت هشـيم

خلـه يـتم أخضــر مــن القنفــان هشــه بــالرديم

والهاويــة والحاطمــة ذي لم تــزل تلطــم لطــيم

واحســب ســعير النــار مســكن كــل كفــار أثــيم

والآخــرة، يــا الله تهــدينا الصــــراط المســتقيم

بالعفو ما هو بالعمـل يـا رب عسـى لا بـان خـيم

واغفر لعبدك بن عـلي بـن زامـل الصـب الـزخيم

من المعاصي كم كسـب وانتـه لمـن يعصــي رحـيم

والخـتم صـلى الله عـلى أحمـد عـد هشـات الـرذيم

ومــا حــدا حــادي ومــا قــرا قــاري طــا ســين مــيم

هذه القصيدة ترد في مجموعة قصائد باداهية العمودي (بداية الحكمة المنتقاه..) في الصفحتين ٩١-٩٢ ويتفرد بها، وقد نشرها الأستاذ سالم الجرو في كتابه (بلاد الأحقاف كنوز...) تم نشرها بموقع سيبان عبر الانترنت، وظهر أني والأستاذ سالم لم نصل إلى قراءة واحدة لبعض

المفردات من بعض القصائد والمكتوب هي ما وصلت إليه مع بعض الملاحظات:

(٥) عند الجرو : خوارق واجدة.

(٦) هكذا قرأتها من الأصل.

(١٢) عند الجرو : (مولى الحسد).

(٢٠-٢١) تم ترتيب الأبيات حسب الترتيب الزمني لحياة المذكورين مخالفة للترتيب في كتاب باداهية.

(٢٤) هكذا ورد البيت.

(٢٩) ربما العيش النسيم.

(٣٠) ما كأنهم ، وفي الأصل ولو كانوا.

(٣٢) ولا خفنا فثا هو له جسم (في الأصل).

(٣٥) هكذا وردت.

(٤٩) في الأصل (أو الأخرة).

يعين الله على هذا الزمن

يقول بن زامل يعين الله على هذا الزمن
ذا وقت عايب وأهله أعيب مالواحد حسن ظن
تجرب أصحابك لقارب يوم يبدي لك شجن
خل المصائب والنوائب يوخذونك بالسهن
ولا يعينونك بكلمة زينة إلا بالثمن
رضعوا بخلق العيب غذوا به كما غذى اللبن
وتحنكوا منه وقع له قسم وافر في لدن
شف خوك من لبوين يوم يبدو في الوهن
لا جيت باتنصحه طرح في عروضك واشتحن
يوم المجن ردوه عاقل والقوا العاقل مجن
وتغير التركوب طف الشين والزين اندحن
والكذب والباطل ظهر والصدق والحق اندفن
والزور والبهتان فاشت والنميمة والفتن
ما حضرموت الاّ رمت رمية وبليت بالفتن

واتعكست من كل جانب وامتلت خص الوطن

مخصوص من عقبة حروبه لا جبل عل بن قطن

ملك الكثيري لي خلق للخسف والنقمة مكن

ضائع بلا قاضي ولا سلطان به عادل سكن

كم ذا البلا والجور في وادي ابن رشد مرجحن

والله ثم والله وبو بكر الذي ساكن عدن

ما حضرموت اليوم مثل المال لي ماله وثن

راحت متاره من فعل شي ما تعاقب وامتحن

من شلت ايده شي تشله وان وقع به صوب ون

سكره مع بطره ودولة مسرفة والطبل حن

اذا رقص واحد طمر لاخر على الرقصة زفن

والوقت وقته طالت أيامه ونحنا في الحزن

مقايسين الخوف والتخويف ما نعرف وسن

ذا وثريا من قرب الموسى لدقنه والمسن

حتى الدعاء ما طاع يقبل في جمعنا والسنن

ماشي سـبب غـير الحـرام السـحت والبغـي اقـترن

والغـش والقصــران لـو حـد كـال أو واحـد وزن

حزنـــاه كلـــه والربـــا عـــاده ينقرهـــا دمـــن

هـــو لي يزقـــل يـــا جماعـــة في لظـــى مثـــل الـــزون

المراجع والمصادر

المخطوطات :

- بامخرمة، عمر عبد الله ، ديوان مخطوط.
- بامطرف ، محمد عبد القادر ، الشعر الحضرمي فن وصناعة ، مخطوط.
- الصبان ، عبد القادر محمد ، دراسات في الشعر الشعبي (صدر بآلة النسخ) في ١٥/ ٢/ ١٩٩٧م.
- الصبان ، عبد القادر محمد ، شعر الجمهور (صدر بآلة النسخ).
- السقاف ، ابن عبيد الله ، بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت ، مخطوط.
- العطاس ، علي بن حسن ، سفينة البضائع وضميمة الضوائع ، مخطوط.

المطبوعات :

- بارجاء ، علي بن أحمد ، الشاعر الحكيم أبو عامر، سلسلة دفاتر أدبية ط١، اتحاد الأدباء عدن ٢٠٠٤م.

- باحنان ، محمد عوض ، جوهر تاريخ الأحقاف ، ج٢/ ٩٢.
- البطاطي ، عبد الخالق عبد الله ، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع بحضرموت، ط أولى ١٩٨٩م دون مكان نشر.
- بامطرف ، محمد عبد القادر ، المعلم عبد الحق الشاعر الشعبي الأول ، بغداد ١٩٧٤م.
- بامطرف ، محمد عبد القادر ، في سبيل الحكم ، دار الهمداني عدن ط٢ ١٩٨٣م.
- بامطرف ، محمد عبد القادر ، الرفيق النافع على دروف منظومتي الربان أبا طايع ، مطابع السلام عدن ١٩٧٢م.
- بامطرف ، محمد عبد القادر ، الميزان ، دار الهمداني عدن ط١ ١٩٨٥م.
- باداهية ، حسين ، قصائد يالوماه ، ط١ الهند ـ بداية الحكمة المنتقاه دون تاريخ.
- باحسن ، عبدالله محمد ، النفحات المسكية تحقيق د. محمد عبد النور تريم ط١ ٢٠١٠م.
- الجرو ، سالم علي عبد الله ، الأحقاف كنوز ورموز، مكتبة التراث الإسلامي الرياض ط١ ٢٠٠١م.

- حداد ، عبد الله صالح ، معجم شعراء العامية الحضارمة مركز حضرموت للدراسات ٢٠١٦م.
- الحامد ، صالح علي ، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد ط١ ١٩٦٨م.
- حداد ، الصيغ ، شعر المحضار المسرحي ط١ ٢٠٠٧م.
- الخلاقي ، علي صالح ، شل العجب شل الدان صدرت طبعة دون تاريخ.
- الخلاقي ، علي صالح ، الحكيم الفلاح ابن منصور ط٢ ٢٠١٠م.
- الخلاقي ، علي صالح ، قصائد من مخطوط المستشرق لندبرج ، هدية من الخلاقي.
- الحبشي ، عيدروس عقد اليواقيت الجوهرية المطبعة العامرية ط١ ١٩٠٠م.
- ابن حميد ، تاريخ حضرموت العدة المفيدة مكتبة الإرشاد ١٩٩١م.
- ابن سميط ، محمد زين غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحداد.
- البكري ، صلاح عبد القادر تاريخ حضرموت السياسي ج٢ ١٩٣٦م.
- البكري ، صلاح عبد القادر تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ١٩٩٢م.

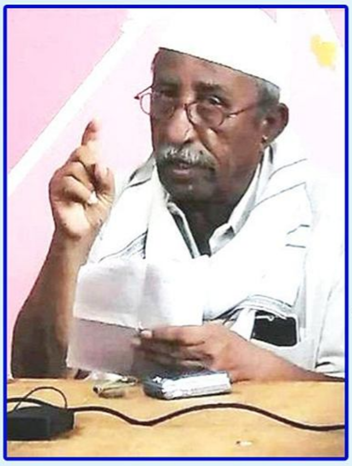
- الأصفهاني ، أبو الفرج الأغاني تحقيق إبراهيم الأبياري مطابع الشعب ١٩٧٩م.
- الصبان ، عبد القادر محمد الشعر الشعبي في حضرموت ط١ ٢٠٠٧م.
- الصبان ، عبد القادر محمد دراسا في الشعر الشعبي (مقدمته) ١٩٧٢م.
- الصبان ، عبد القادر محمد الحركة الأدبية مكتب الثقافة المكلا ط ١ ٢٠٠١م.
- بن شيخان ، سامي محمد نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير ٢٠٠٠م.
- العطاس ، علي بن حسن تاج الأعراس ج ١و٢ ط١ ٢٠٠٧م.
- عكاشة ، السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ١٩٨٥م.
- باوزير ، أحمد عوض الشعر الشعبي الوطني مكتبة عدن ١٩٧٨م.
- العماري ، مبارك عمرو محمد بن فارس مطابع الحكومة بالبحرين ١٩٩٤م.
- الشاطري ، محمد أحمد أدوار التاريخ الحضرمي ط٢ ١٩٨٣م.

- شنبل ، أحمد عبد الله تاريخ حضرموت ١٩٩٤م.
- السقاف ، ابن عبيد الله عبد الرحمن إدام القوت تحقيق محمد أبو بكر باذيب ٢٠٠٥م.
- الهمداني ، أبو اسحاق ديوان شعر (صورة منه) بمكتبتي هدية من سفير دولة عمان.
- الهمداني ، حسن بن أحمد الهمداني ، الإكليل ج٢/ ٣٢ ٢٠٠٤م.
- الهمداني ، حسن بن أحمد، صفة جزير العرب ص١٦٦، ١٩٧٤م.
- الدبكان ، الإيقاعات الكويتية الشعبية المجلس اليمني ط١ ١٩٩٨م.

الدوريات :

- مجلة حضرموت الثقافية يونيو – سبتمبر ٢٠٢١م.
- مجلة المنار مصر عدد ج١/ ٨.
- مجلة (ريبون) العدد ١٤ عام ٢٠٠٨م مكتب الثقافة القطن.
- مجلة البلاد السعودية قصتي مع باكثير ، د. محمد حميد.
- مجلة العرب عدد يونيو – يوليو ١٩٩٧م.

الفهرس



المؤلف في سطور

- عبد الله صالح سعيد حداد .
- من مواليد ٢٧ إبريل ١٩٤٦م ، مدينة الشحر .
- أكمل المرحلة الثانوية العامة بمدرسة الشاطئ بجدة .
- تلقى دورات تأهيلية تربوية وطرق تدريس .
- عمل معلماً بالمدارس الإعدادية ثم الأساسية .
- مدير مدرسة أساسية متقاعد .
- عضو مؤسس لفرع اتحاد الأدباء والكتاب م / حضرموت .
- عضو مؤسس لمنتدى حسين المحضار الأسبوعي حتى وفاته .
- له العديد من الأبحاث والمقالات والمحاضرات في مجال التراث الشعبي والأغنية الحضرمية والتاريخ المحلي ، نشرت بالصحف والمجلات المحلية .
- له عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة علاوة على ما سبق، الآتي :

❖ الابتهالات والمدائح في حضرموت الابتداء والانتشار .
❖ الرقص الطقوسي .
❖ الشواني رقصة شعبية حضرمية .
❖ الاستحكامات الدفاعية في حضرموت ، الشحر نموذجاً .
❖ زيارة الشحر وصاحبها العطاس .
❖ سور الشحر مسرحية تاريخية ، تحقيق ونشر .
❖ المكتبة السلطانية بالشحر
❖ تاريخ مساجد الشحر وأصحابها .
❖ كيف كنا وكيف أصبحنا محاضرة لبامطرف ، تحقيق ونشر .
❖ المؤرخ الشاعر سعيد علي بامعيبد .
❖ أضواء على الأغنية الحضرمية في عصر الفنان باحسن .
❖ باحسن الرائد الفنان ، مشاركة مع الأستاذ محمد بامطرف .
❖ مسرح الشاعر المحضار ، مشاركة مع الدكتور الصيغ .